

ضوء علم النفس الحديث

الشعور واللا شعور

عند فرويد وأدلر ويونج

تأليف

دكتور عبد العزيز جادو

المكتب الجامعي الحديث

د. ش. دينوقراط - الأناضول - الإسكندرية

مكتبة المهتدين الإسلامية







الشعور والاشعور
عند فرويد وأدلر ويونج
مكتبة
المفتدين

في ضوء علم النفس الحديث

الشعور واللاشعور

عند فرويد وأدلر ويونج

الدكتور

عبد العزيز جادو

المترجم الجامع الحديث



القسم الأول الرواد الثلاثة لعلم النفس الحديث

□ سيجموند فرويد (مدرسة التحليل النفسي)

□ ألفريد أدلر (مدرسة علم النفس الفردي)

□ كارل يونج (مدرسة علم النفس التحليلي)

سيجموند فرويد

رائد علم النفس الحديث

فى يوم ٦ مايو من كل عام تحتفل العواصم المتمدنة فى أنحاء العالم بمولد رجل أطلق عليه بحق اسم « ليفنجستون » العقل البشرى ، نسبة للمكتشف الشهير الذى اجتاز صحراء كلا هارى ، واكتشف نهر زامبيزى ، وارتاد مجاهل أفريقيا . ووصفه آخرون برحالة المحيطات النفسية ، ورائد الفضاء الوجدانى ؛ ذلك لأنه أول من ارتاد المناطق غير المطروقة فى القارة المظلمة من نفس الإنسان اللاشعورية .

ذلك الرجل الذى يدين له العالم بهذا الإنجاز العظيم هو الدكتور سيجموند فرويد مؤسس علم النفس الحديث ، ومبتكر علم التحليل النفسى الذى أرسى له أساساً ثابتاً ومتيناً لفهم الصراعات البشرية ، ومساعدة الإنسان على معرفة نفسه .

ولد سيجموند فرويد فى يوم ٦ مايو من عام ١٨٥٦ .

ولقد دأب المشتغلون بالتحليل النفسى فى سائر بقاع العالم على الاحتفال بهذه المناسبة فى هذا التاريخ من كل عام ، تكريماً واعترافاً بفضل ذلك القطب الذى كان الرائد الأول فى رحلة العقل استكشافاً لأغوار النفس .

« ولقد أظهر عبقرية فذة وشجاعة نادرة فى بحث أعوص أمور النفس البشرية . مع مثابرة دراسية عملية لاتتاح للكثيرين . كما كان

إلى جانب ذلك جمعية لماحاً ملهماً تنكشف أمامه أسرار استغلق أمرها على غيره من الباحثين «^(١)» .

لذلك كان لزاماً علينا أن نعترف بالفضل شاكرين لجميع الكتاب والدارسين الذين أسهموا من ناحيتهم بإلقاء الضوء على شخصية فرويد من جميع زواياها وبخاصة استكشافاته المستحدثة .

ولقد كان الكتاب الذى ألفه « جريجورى زيلبورج » Gregory Zilloorg - وهو كاتب سيرة ممتاز ، وله مزاج خاص وأسلوب مميز وذو حساسية بالغة - بعنوان : « سيجموند فرويد : استكشافه لعقل الإنسان »^(٢) ، بمثابة إقرار بفضل الرجل ، وتقدير عادل له على مناضلته وكفاحه .

يقول المؤلف : « إن اللاشعور حقيقة واقعة لا ريب فيها . وهو موجود وسيظل موجوداً وباقياً . ولقد تم الاعتراف به والتسليم بصحته . أما محتوى اللاشعور ، الذى يكمن فى اللاشعور - إذا جاز التعبير - فقد ثبت أن من الصعب قبوله والتسليم به » .

ومع ذلك فإننا نرى أن كثيراً ممن يعبرون عن تقديرهم وإعجابهم بالمذهب الفرويدى ، يغمضون أعينهم عن المعانى العميقة التى يتضمنها اللاشعور .

(١) عن « الموسوعة المختصرة فى علم النفس والطب العقلى » للدكتور وليم الخولى - ص ٣٥٦ ، دار المعارف بمصر.

(2) " Sigmond Freud : His Exploration of the Mind of Man"

ويقول المؤلف : « وإنها لبينة واضحة جدية بالاعتبار ، تلك الحقائق السرمدية التى تنطوى عليها تعاليم فرويد ، التى تضمّر العداء العنيد للنظام اللاهوتى فى زمنه . ولا تزال تعاليمه يعمل بها حتى الآن كدليل قاطع على أن طبيعة الرجل إنما هى طبيعة روحية تدفعه للبحث عن نفسه فى كل ظاهرة من ظواهر الطبيعة ، كما كان يبحث عنها فى كل سريرة من سرائر النفس البشرية .

ويختم « زيلبورج » كتابه القيم بعبارة مقتبسة من العالم النفسانى « ستيرن » يقول فيها : « إننا لو نظرنا إلى تاريخ الروح البشرية بعناية على المدى البعيد ، لوجدنا أن الشيء الهائل الذى أعاد التحليل النفسانى اكتشافه ، هو الوظيفة الأولية والأساسية للحب فى عالم الإنسان » .

والكتاب - فى جملته - ممتع وطريف ومقنع للذين يشكّون فى أن التحليل النفسى هو « الكل فى الكل » !!

كما صدر أيضاً عن حياة فرويد كتاب « تأويل الأحلام والنكتة وعلاقتها باللاشعور » تأليف الرسام البريطانى المعروف « رالف ستيدم » ، وهو أشبه بملحمة تمجيد لأستاذية فرويد ونظرياته .

ومن المعروف أن فرويد من أشهر علماء النفس ، وقد تعددت مؤلفاته . وبالرغم من مضى عشرات الأعوام على رحيل فرويد بنظرياته فى علم النفس ، فإن المؤلفات عن تلك النظريات لا تزال تصدر تباعاً ، تناقش وتحلل وتوافق وترفض . ومن أشهر مؤلفات فرويد النفسية وأهمها ، التى ترجمت إلى اللغة العربية :

١ - « حياتى والتحليل النفسى » : وهو سيرة فرويد العلمية كتبها بنفسه ، وترجمها الدكتوران مصطفى زيور وعبد المنعم المليجى . وهذا الكتاب هو المدخل التاريخى للتحليل النفسى الذى أحدث ثورة على المفاهيم التى اعتنقها الأطباء دهرأ بصدد طائفة من الأمراض . (صدر عن دار المعارف بمصر) .

٢ - « تفسير الأحلام » : وهو عمل ضخيم يعتبر فتحاً جديداً فى الكشف عن أسرار النفس ، ومناراً فى تاريخ المعرفة . وقام بترجمة هذا الكتاب الدكتور مصطفى صفوان عن الأصل الألمانى ، ترجمة صادقة كاملة ، مع هوامش وتحقيقات . ونشرته دار المعارف بمصر .

٣ - « ما فوق مبدأ اللذة » ، ترجمة الدكتور اسحق رمزى ، وصدر عن دار المعارف .

٤ - « الموجز فى التحليل النفسى » ترجمة الدكتور سامى محمود على والأستاذ عبد السلام القفاش ، ومراجعة الدكتور مصطفى زيور . صدر عن دار المعارف .

٥ - « ثلاث مقالات فى نظرية الجنس » ، ترجمة الدكتورين سامى محمود على ومصطفى زيور .

٦ - « مقدمة فى التحليل النفسى » ، ترجمة الدكتور اسحق رمزى .

إلى غير ذلك من الكتب التى قام بترجمتها عن سيجموند فرويد بعض الجهابذة من علماء النفس عندنا . وهى كلها مفخرة لهم وللمشتغلين بالدراسات النفسية فى مصر وفى غيرها من العالم العربى .

وجدير بالذكر أن كتاباً صدر فى الأسواق الأوربية حديثاً يتضمن مقالات لم تنشر من قبل لفرويد ، وقد قام بجمعها الكاتب الأمريكى « ج . سالوى » . والكتاب عبارة عن مجموعة من المقالات التى كان قد كتبها فرويد والتى لا تحمل عنواناً ولم تنشر من قبل ، وقد ذكر فرويد فى هذه المقالات أن كل كاتب فى إمكانه تحقيق الشهرة .
فالإخلاص والأمانة فى العمل هما مصدر كل عبقرية .

إن التحليل النفسى - بوصفه نظرية نفسية وعلاجية - يؤكد أن ثمة منطقة واسعة فى العقل تحت مستوى الشعور تكمن فيها الذكريات الأليمة ، والرغبات التى لم تتحقق عن طريق العقل الشعورى . وهدف التحليل هو إخراج محتويات اللاشعور إلى حيز الشعور ، وذلك من خلال الخبرات اليومية فى الأحلام ، وأحلام اليقظة ، واسترجاع الذكريات ، وفلتات اللسان ، وغيرها من مختلف أنواع السلوك غير المنطقى .

ومن هنا كان التحليل النفسى هو أسطع ضوء يلقى على مشكلات الحياة وتعقيداتها .

أما الرغبات الممنوعة ، والميول الطفولية ، وكل ما هو لا شعورى ، فهو مكبوت تحت مستوى الشعور ، فى تلك المنطقة من العقل المعروفة باللاشعور ، ومحاط بسياج من عمل مقاومة كابتة تمنع ولوجه منطقة الشعور مهما حاول المرء ، إلا فى صور تنكيرية أو رمزية ممسوخة فى اليقظة أو الأحلام أو فى أثناء التحليل النفسى .

ومع إن الغرائز المحظورة والمستهجنة مكبوتة ، غير أنها تظل نشيطة وفعالة على مستوى اللاشعور ، حتى تظهر في حياة الراشد في صورة رمزية لا يستطيع تمييزها سوى علماء النفس النابهيين .

ويقول الدكتور إرنست جونز : « إن أهمية اللاشعور في الحياة الواقعية هي أن جميع الوظائف العقلية إنما تنشأ في العقل اللاشعوري وتستكن فيه ، وكل أفكارنا ، واهتماماتنا ، ودوافعنا الشعورية ، وبواعثنا الواعية ، تؤدي جميعاً إلى مسلك أو سلوك له مصدره في اللاشعور » .

ولقد هوجم التحليل النفسي هجوماً شديداً على زعم أنه يضيف شهرة واسعة غير مناسبة للغريزة الجنسية . والحقيقة التي لا شك فيها ، هي أن فرويد قام بدراسة موضوع له قدر عظيم من الأهمية لهذا العامل ، فهو يعتبر أى نشاط أو فعالية تمنح الطفل لذة حسية - كوضع إبهامه في فمه مثلاً - إنما هي صورة من صور الإشباع الجنسي .

والمبدأ الأساسي للتحليل النفسي هو - في الحقيقة - الجنسية الطفلية . والجنسية عند الطفل بحسب رأى فرويد ، هي البحث عن موضوع الحب ، يتجه نحوه بغريزته ، ويكون هدفاً لإشباعها ، فيجده الطفل في الوالد إذا كان أنثى ، أو في الوالدة إذا كان ذكراً .

وظل فرويد نفسه طوال سنوات مشار سخرية العلماء ، لأنهم في الدرجة الأولى كانوا يخافون من ثورة طبية . وكانت دراساته واستكشافاته وعلاقتها بالأحلام موضع ازدراء وسخرية وهزاء ، والعصر الفيككتوري المتزمت ، شديد الاحتشام ، قد ارتعدت مفاصله ، وارتجفت أوصاله من إصرار فرويد على أن الجنس عامل مسيطر . ولكنه انتصر في

آخر الأمر . شيئاً فشيئاً أقرّوا بنظرياته واستعملوها . واختارها آخرون لكي تكون موضوعاً للدراسة والبحث والتحليل النفسى بما يحتويه من مجموعة الكلمات والمفردات المستحدثة التى استخدمت لمصطلحات جديدة ، « كالعصاب » ، و « العقدة » ، و « الكبت » ، و « اللاوعى » ، و « اللا شعور » ، و « اللبيدو » . وأصبح الموضوع ثابتاً ومقرراً كفرع هام من فروع العلم الطبى .

ولقد كان كل من آدلر ويونج فى بادىء الرأى من تلاميذ فرويد ومريديه ، ولكنهما أصبحا بعد ذلك من الأنداد المناوئين له ، ومن المعارضين على التوكيدات التى قدّمها فرويد عن أهمية الدافع الجنسى ، ومهما يكن ، فإن فرويد - كما رأينا - قد استعمل اصطلاح الجنسية فى أوسع معانيه الشاملة لجميع الصفات والمظاهر كمرادف لكلمة « الحب » ولو أنه - من ناحية أخرى - كان ملحاً فى إصرار على أن مصّ الطفل لإبهامه يمنح اللذة الجنسية لطبيعة بدائية .

تقول الدكتورة « كلارا ثومبسون » فى كتابها « التحليل النفسى : النشوء والتطور » ^(١) : « إن فرويد الذى كان نزاعاً إلى نقد العديد من المعتقدات الزائفة ، والتجارب الباطلة لمعاصريه ، يبدو أنه وافق بدون جدال على الفكرة التى تؤكد أن الآباء يحبون دائماً أطفالهم ، وأن مخاوف الطفل والصعوبات التى تواجهه ، إنما تنشأ فى الغالب من دوافعه الفطرية وبواعثه الغريزية » .

(1) Psycho - analysis : Euolution and Development" (Allen and Alnurin).

التحليل النفسي :

وتعترف الدكتور « كلارا » كذلك : « بأن كل ما يمكن أن يفكر فيه الفرد عن التوجيه النظرى عند فرويد ، هو أنه قام بعمل ضخم وذى شأن خطير ، إذ أن خبرات الطفولة لها أهمية بالغة فى تطور الشخصية المقبلة ؛ وأن التأثيرات لمثل تلك الخبرات متواصلة ومستمرة فى القيام بسلسلة من عمليات الدراية الشعورية الخارجية » .

كما أن فرويد نفسه أكد فى كتابه « موسى والتوحيد » : « أن تجارب الخمس سنين الأولى للطفولة تضى تأثيراً حاسماً على حياتنا » .

ولقد نشأت ممارسة التحليل النفسى من معالجة فرويد وزميله بروير للمرضى المصابين بالهستيريا بطريقة التنويم المغناطيسى ، وقد وجد فرويد أن الأحداث المنسية المرتبطة بحياة المريض العاطفية تنشط من جديد وتعود إلى الوعى عن طريق التنويم . وعندما سُمح للمريض بأن يعبر عن مشاعره بالتحدث إلى فرويد عن تلك المشاعر والإجابة عن أسئلته خرج الكثير مما كان يخفيه فى يقظته ، والكثير مما على هامش الشعور . وأحس براحة وارتياح . وأن أعراض الهستيريا قلت حدتها بعد ذلك (١) .

اعتقد فرويد أنه يمكن بهذه الطريقة إحياء الاختبارات التى ينساها الإنسان فى حياته الواعية العادية . وكان بروير يرى أن أسلوب التعبير عن الآلام العاطفية هذا يطلق سراح العواطف والانفعالات المحبوسة التى كان يرى أنها سبب المرض العصبى .

(١) راجع كتابنا « العقل منبع الحكمة » (دار الفكر العربى) وبه فصل كامل عن التحليل النفسى

وبعد أن تزامن بروير وفرويد مدة قصيرة ترك كل منهما التنويم المغنطيسى . الأول لأسباب خاصة ، والثانى لأنه وجد أن التنويم ليس علاجاً بالضرورة ، ذلك لأن بعض المرضى الذين « عولجوا » عادوا مرة أخرى بعد ذلك بأعراض مختلفة بعض الشيء . وأن بعضاً آخر من المرضى لا يمكن تنويمهم البتة . بالإضافة إلى أن بعض المرضى أصبحوا من مدمنى التنويم ولا يستطيعون تدبير أمورهم بدونهم .

والإجراءات الأساسية التى أقرها فرويد ورأى أنها تؤدى إلى أحسن النتائج هى السماح للمريض بأن يتمدد فى استرخاء تام ، ويظل يتحدث بما يمر بخاطره ، وبكل ما يخطر على باله من أمور أو أشياء مهما تكن ، دون محاولة التدخل فى سلسلة أفكاره . وهذه الطريقة المعروفة باسم « التداعى الحر » هى الطريقة التى لا يزال يستخدمها المحللون النفسانيون مع مرضاهم حتى الآن .

وفى وقت ما ، بعد فترة من الزمن قصيرة ، يصل المريض إلى مرحلة تعرف باسم « التحويل » ، حيث يصبح المحلل النفسى بديلاً للموضوع أو الشخص الأصلي ، فيقف المريض من الطبيب المعالج موقفاً وجدانياً معيناً كأنه أحد والديه .

ولن يكون التحليل النفسى كاملاً ، ولن يبلغ حد الكمال ، إلا بعد أن ينفصل المريض عن اتجاهه العاطفى الطفلى ، ويتوقف عن اعتماده على بديل أبويه ، وبعد أن يجد مخرجاً مناسباً ، ومتنفساً لرغباته التى يجب أن لا تظل متركة على المحلل النفسى .

والحب الذى يشعر به المريض نحو المحلل النفسى فى أثناء فترة

التحويل إنما هو حب حقيقى ، ولكنه حب مؤقت سريع الزوال . غير أنه يظل باقياً حتى يستطيع المحلل - خطوة بخطوة - أن يفك إسار المريض من ريقته ، ويطلقه من الموقف الباثولوجى (المرضى) . وعندما يصبح المريض فى غير ما حاجة إلى المحلل ، فإنه يشعر بقليل أو كثير من الخجل إزاء هذا الحب . وعندئذ يعرف المحلل أن مهمته قد انتهت بخير وأن العلاج قد وصل إلى غايته من النجاح .

« .. ويقول فرويد فى نظريته عن الأحلام ، إنها تحقيق رغبة . وإن كثيراً من الأحلام يأخذ صورة إرضاء الرغبة وإشباعها . والرغبة يمكن تمييزها بسهولة ، ولكن هناك كثيراً من الرغبات الغامضة المكبوتة يمكن أن تعلن عن نفسها بصورة رمزية ومعدل فيها .

« وفى اللاشعور يكمن الكثير من الرغبات الغريزية التى لا يمكن أن تكون مرضية فى الحياة العادية من غير ما تناقض مع الدستور الاجتماعى للفرد ، واحترامه الذاتى . والرغبات التى تجد تعبيراً فى الأحلام هى التى تنتمى إلى الحياة الماضية للفرد . وتحليل الأحلام بطريقة « التداعى الحر » إنما يشكل جزءاً من التحليل النفسى » (١) .

α وفى هذا الصدد يقول إرنست جونز - وهو من تلاميذ فرويد المعجبين به إعجاب التقدير والوفاء - : « .. والحق أن لب نظرية فرويد لم يحظ بعد بالقبول اللهم إلا لدى علماء التحليل . بيد أنه قد أصبح من المسلم به الآن - والفضل فى ذلك لعمل فرويد - أن دراسة الأحلام ليست وحسب جزءاً له اعتباره فى علم النفس ، بل جزءاً بالغ الأهمية

(١) راجع كتابنا « الأحلام والرؤى » ، ص ٢٧ (دار المعارف) .

فى هذا العلم ، زد على ذلك ما لها من قيمة علمية عظيمة فى علاج الاضطرابات العصبية ، حيث يتحتم سبر أعماق النفس » (١) .

ويقول الدكتور جونز أيضاً : « .. ولما كان معظم علماء التحليل النفسى أشد انشغالا بدراسة اللاشعور منهم بدراسة الأحلام ، يستخدمون الأحلام لذلك الغرض فحسب فربما نجم عن ذلك الشعور الذى يبرز إلى حد ما ، القضية الذائعة وهى أن فرويد يذهب إلى أن الأحلام جميعاً جنسية . بيد أن نظريته فى الواقع ليس فيها ثمة ارتباط ضرورى بالمرءة بين الأحلام والجنسية . فوظيفة الأحلام كما شرحناها آنفا لا صلة بينها وبين الجنسية . إذ قد تكون المهيجات المشوشة فى الأحلام جنسية فى طبيعتها ، وقد لا تكون كذلك ، وإشباع الرغبة الذى ينبى عليه الحلم لا يتطلب أن يكون جنسياً ، وإن كان فى كثير من الأحيان جنسيا فى الحقيقة » (٢) .

✓ ولقد أكد فرويد على مبدأ السببية النفسية (٣) . ويصر على أن كل سلوك أو تصرف إنما تستحثه الأسباب النفسية التى يعتبرها أمراً مفترضا ومسلماً به ، يأتى فى صورة رغبات أو نزعات أو اتجاهات .

وثمة مائدة أخرى من مآثر فرويد التى قدّمها لدراسة الشخصية ، هى مفهومه عن الآليات العقلية اللاشعورية ، كالتسامى ، وهى فكرة استخدمها فرويد فيما يتعلق بالدافع الجنسى ، فقال إن الدافع الجنسى مزود بالقدرة على التسامى ، أى أنه مزود بالقدرة على أن يستبدل بهدفه

(١) عن « التحليل النفسى » تأليف إرنست جونز ، ترجمة الدكتور محمد فتحى الشنيطى - ص

(٢) المرجع السابق ص ٥٧ .

القريب أهدافاً أخرى تمتاز بأنها أرفع قيمة ، وبأنها غير جنسية . وهي أيضاً علمية لاشعورية تعنى تغيير بعض الرغبات البدائية غير المرغوب فيها والميول العدوانية إلى صور من السلوك السامى الاجتماعى النافع عن طريق العمل الإبداعي .

فما هي قيمة علم النفس الفرويدى ؟..

هذا السؤال تجيبنا عنه الدكتورة « كلارا ثومبسون » فتقول : « إن التحليل النفسى نظرية ووسيلة للعلاج معدة وجاهزة لتحقيق هدف معين هو مساعدة الكائن البشرى للسيطرة على مصاعب الحياة والتغلب عليها » (١) .

ويجيبنا عن هذا السؤال أيضا الفيلسوف برتراند راسل فيقول : « كانت أهداف فرويد علاجية فى أساسها . إذ كان همه منصرفاً إلى إبراء الناس من صور الاضطراب العقلى غير الشديد الخطورة ، وفى أثناء محاولته هذه كَوَّن رأياً عن علة هذه المتاعب ، وقد صارت نظريته فى التعليل أهم من نظرياته فى العلاج ذاتها » (٢) .

ويقول أيضا : « ولعل من الممكن أن نظرية التحليل النفسى يستوعبها شئ أكثر منها علمية ، ولكنى لا أشك فى أن بعضاً مما يوحى به التحليل النفسى خاصاً بالتربية فى المراحل الأولى ، ستثبت صحته على الدوام ، وسيكون بالغ الأهمية » (٣) .

ولما لموضوع التحليل من قيمة عظيمة لا تقدر ، فقد أقره واعترف

(1) " Psycho - analysis : Evolution and development "

(٢) عن كتاب « النظرة العلمية » تعريب الدكتور عثمان نوبة ص ١٦٧ .

به جميع علماء النفس ، حتى الذين كانوا يناوئون فرويد ويقفون ضد تعاليمه . ولم يقدموا له ما يستحق من إعجاب وتقدير .

ومن هؤلاء العلماء الدكتور « ف . س . برليس » الذى يقول : « إن نظرية الليبدو عند فرويد ، والطرائق التقنية فى بحثه العلمى الخاص بالتحليل النفسى كانت ذات قيمة عظيمة لا تضارع ، لقد كان فرويد (ليفنجستون) اللاشعور ، ومبدع الأسس الخاصة بريادة سبر أغوار النفس واستكشاف مجاهلها ، وإخراج محتويات اللاشعور إلى حيز الشعور ، لكى يكتسب الفرد استبصاراً بحقيقة دوافعه وأعراضه ، فيضع أثر تلك المحتويات بعد أن كانت تؤثر من الأعماق كالبخار المضغوط . وكانت النتيجة التى انتهت بها نظريته هى إعادة تنظيم وترتيب الطريقة التى يمكن التوصل بها إلى فهم موضوعى العصاب ^(١) والذهان ^(٢) .

✓ « والبحث الذى قدّمه فرويد وحشد فيه حصيلة يعتدّ بها من الملاحظات القيمة ، وعدداً وافراً من الحقائق الناصعة النافعة ، ليس علماً جديداً ، ولكنه استشراف جديد لحياة كانت موجودة أصلاً » ^(٣) .

وعن طريق اتباع منهج التحليل النفسى - وهو الوسيلة التى يغوص بها المحلل النفسى إلى مكامن النفس البشرية فيسبر أغوارها ، حيث المعين الخفى لتلك النوازع النفسية الغالبة التى تتجاذب الفرد دون ما منطق ، وتتراوح أبداً بين أطياف من قطبين نقيضين ؛ إما إلى خير خالص ومشاعر إنسانية متسامية ، إيماناً برب العالمين ؛ وإما موغلة

(١) العصاب : هو المرض أو الإضطراب النفسى .

(٢) الذهان : هو المرض العقلى العضوى .

(٣) إنظر مجلة « سيكولوجيست »

إلى شرّ محض ، فهى إلى تزمت واستعلاء عنصري بفيض - نجح فرويد فى الوصول إلى إعلاء دور العاطفة على الشهوة ، والحب على الجنس ، والرفق على العنف ، والوضوح على الغموض ، والمساواة بين الجنسين على المغالطة والرياء ، والعلاج البصير على مضاعفة البلاء بالإنكار والإزدراء^(١) .

✕ ومهما يكن ، فإن فرويد نفسه ، وليس أحد غيره ، هو أول من صرّح بأن التحليل النفسى لا يدعى لنفسه الكمال ، ولا أنه هو الكلمة الأخيرة فى موضوع اللاشعور . فلقد قامت دعائم التحليل النفسى بإحكام على ملاحظات عن حقائق الحياة العقلية ، ولذلك فإن البناء الشامخ الذى أرسى فرويد قواعده لا تزال أجزاء بنائه العلوية ناقصة وقابلة لتعديل متواصل ومطرّد . ومستعدة لتقبل المزيد من الأدوار العليا ، كيما يعلو البناء ويعلو ، حتى يصل إلى الذروة ويناطح السحاب فى وثوق وسموق .

ربما لم يعد يبقى من سيكولوجية فرويد سوى كلمتين اثنتين هما : « التحليل النفسى » . ذلك أن الاختلاف بين علماء النفس قد شمل كل شىء من التفاصيل وبقي هذا الأساس فقط . وهو أساس ضخم كبير .

✓ ذلك أن فرويد ذكر : عقدة أوديب ، وغريزة الموت ، والذوات الثلاث فى الإنسان ، والرموز فى الأحلام ، ودلالة الجنون ، ودلالة

(١) راجع كتاب « التكوين الروحى وأسرار السلوك » للدكتور رءوف عبيد ، الجزء الأول ، ص ٥٥ .

الأديان القديمة والحديثة ، إلى غير ذلك من النشاط النفسى فى الصحة والمرضى ، وقل أن تجد اثنين من الذين درسوا فرويد يتفقان على معنى لأحد هذه التفاصيل .. ولكن هل معنى هذا أن فرويد لم تعد له قيمة ؟ الجواب لا . وألف مرة لا .. فإن التحليل النفسى الذى ابتدعه فرويد قد جاء ليعيش ، وهو حى فى آلاف الكتب ومئات المجلدات - بعضها أسبوعى متخصص - التى تبحثه وتناقشه ، وتؤيده أو تنقضه ، وليس هناك من ينكر الخير والصحة اللذين انتجهما التحليل بين آلاف المرضى . كما ليس هناك من ينكر العمق والنور اللذين يجدهما الدارس لفرويد حتى حين يخالفه .

يقول الأستاذ سلامة موسى : « كان إحساسى ، لأول معرفتى بفرويد ، أنى (عرفت) ، وأنى (كبرت) . وهذا هو فى ظنى إحساس كل من يقرأ لأول مرة . حتى إذا توسع داخلته الشكوك ، وهى شكوك حسنة لأنها تدفعه إلى دراسة علماء النفس من الفريق الآخر ، فريق بافلوف هذا العظيم الآخر الذى يحمل مصباحاً آخر .

« ومن المفيد أن يقرأ شبابنا - ممن يريدون مزيداً من المعرفة فى هذا الموضوع - كتاباً (فى التحليل النفسى) وهو محاضرات مختارة من فرويد ، ترجمها الدكتور أحمد عزت راجح ، حتى يقفوا على الطريق الذى سلكه فرويد فى بحث منطقة كانت إلى عصره مجهولة ، وكيف فكّر وكيف اخترع ، وكيف يقول فى السطور الأخيرة من كتابه هذه الكلمات المعبرة : « إن النظرة العلمية إلى الكون لا تقنع بتوكيدها شهادة العالم الخارجى الواقعى ، بل إن لها فوق ذلك خصائص سلبية فى جوهرها ، فهى تستمسك بالحقيقة وترفض الأوهام ، فإذا كان بين

معاصرنا من لا يرضى بهذا الوضع وأراد شيئاً أكثر منه يتخذه ذريعة موقوتة إلى راحة باله ، فليبحث عنه حيث يتسنى له أن يجده ، أما نحن فلا نلومه على ذلك ، لكننا لا نستطيع أن نقدم له العون أو أن نغير طريقة تفكيرنا من أجله .

— واسم « التحليل النفسى » - كما قلنا - ينتمى إلى فرويد .. أما « علم النفس الفردى » الخاص بالدكتور أدلر ، و « علم النفس التحليلى » الخاص بالدكتور يونج ، فقد تأسست أركانها على مذهب اللاشعور الذى ابتدعه لأول مرة الدكتور سيجموند فرويد .

ومع ذلك ، وبعد كل ذلك ، يقوم البعض بحملات عنيفة على فرويد ومذهبه ، مدّعين أن البقية الباقية من طب فرويد قليلة لا يؤبه لها ، وأن آراءه لا تضيف شيئاً إلى القيم الإنسانية لأنه يتردد بالإنسان إلى أغوار الباطن ويهمل جانبه المنطقى الشاعر ، وأنه لم يكن يفهم المرأة ولم يكن يتذوق الموسيقى ولا يحسّ بحلال العقيدة .

ونحسب أن فرويد لم يعمل عبثاً إذا كان العالم قد استطاع بعد أقل من عشرين سنة من وفاته أن يضعه على المشرحة التى كان يضع عليها مرضاه .

وأذكر فى هذا السياق قصة التلميذ اليونانى القديم وأستاذه فى علم الجدل والفسفسطة ، فإن التلميذ أنكر حق الأستاذ فى الأجر المتفق عليه بعد انتهاء الدروس التى حضرها عليه ، وقال له إنه سيناقشه فى هذا الحق فإن أقنعه بأنه لا يستحقه فلا أجر له عنده ، وإن لم يقنعه فلا أجر له عنده كذلك ، لأنه لم يعلمه كيف يقيم البرهان على دعواه .

قال الأستاذ : بل أستحق الأجر مرتين ، لأننى علمتك أن تغلب
أستاذك !

وعلى هذا النحو يستطيع فرويد أن يهدأ فى قبره ، لأنه علم الناس
كيف يضعونه على المشرحة ليطبقوا مذهبه عليه !!

العلماء هم فريدي
العلماء هم فريدي
العلماء هم فريدي
العلماء هم فريدي
العلماء هم فريدي

ألفريد آدلر

الأب الشرعي لعقدة النقص

ولد ألفريد آدلر في فيينا في السابع من شهر فبراير عام ١٨٧٠ م .
في عام ١٩٠٢ م اشتغل طبيباً ممارساً مغموراً يمد يد العون للفقراء ،
جاءته في ذلك الوقت رسالة موجزة من الدكتور فرويد ، دعوته فيها
ليكون عضواً في جماعة البحث العلمي التي تجتمع كل أسبوع في
منزل فرويد .

ودفعت تلك الدعوة - وما نشأ عنها من بحوث ومناقشات -
الدكتور آدلر إلى الخوض بقوة في أعماق البخار السحيقة ، الواسعة ،
المجهولة ، للسلوك البشري ، كيما يستخرج منها نظرية جديدة عن علم
النفس القائم على أساس « عقدة النقص » عند الفرد . ورفعت هذه
النظرية آدلر من الغمرة وخمول الذكر إلى عالم الشهرة الواسعة ،
والصيت الجميل ، حتى وصل إلى مرتبة التفوق والمركز المرموق في
الطب النفسي الحديث .

وفي عام ١٩١١ اختلف آدلر مع فرويد في الرأي عندما رفض
العالم الأكبر الاعتراف بنظريته في علم النفس الفردي ، حتى لقد
قامت بينهما مشادة بسبب ذلك ظلت مستمرة لمدة ربع قرن من
الزمان .

وانقسم علماء العالم جميعاً ، بحكم الاختلاف في الرأي ، إلى
فريقيين ، كل فريق منهما له فكرته العامة ومبدأه العام ، فريق يؤمن مع
فرويد بأن مشاكل العقل تنشأ عن قمع الجنس ، وأنها خاضعة للعلاج

عن طريق التحليل النفسى ؛ والفريق الآخر مقتنع تماماً بنظرية آدلر عن
(عقدة النقص كمفتاح للسلوك البشرى).

ومهما يكن الحكم النهائى ، فهناك أمران محددان متفق عليهما ، هما : إن التنافس العنيف الشريف بين فرويد وآدلر فعل الكثير ليشير الانتباه ، ويجذب الأنظار إلى بحث علمى يعَد اكتشافاً هاماً فى مجالات هذا العلم الحديث ؛ وأن آدلر سوف يذكر دائماً كواحد من حملة المشعل الذى ينشر نوره على الأعماق السحيقة لأسرار عقل الإنسان .

أوروبا

وكان ألفريد آدلر كذلك واحداً من أبرع الأطباء فى أوروبا ، لم يكتف بتعليم الأطباء كيف يعالجون « العصاب » Neurosis ، ولكنه أراد أن يعلم العصائيين كيف يعالجون أنفسهم .. أراد أن يعلم الناس - رجالاً ونساء - أينما كانوا ، طريقة يمكن أن تحميهم من العصاب طوال حياتهم .

لقد أصّر آدلر مؤكداً على أن علم النفس الفردى يجب أن لا يكون مجرد سرّ تجارى لعلماء النفس الطبيين . (المكرسين للمعالجة الطبية) . وإنما يجب أن يكون علماً متاحاً لجميع بنى البشر ، مما دعا بعض الأطباء الذين كانوا يتعلقون بأذياله ، يدون سخطهم وعدم رضاهم عن ذلك ، كما أشار أحد قادة علماء النفس إلى « أن مهنة الطب يجب أن يسان سراً ، ويضن على الناس علمها ، وتظل معرفتها بعيدة عن تناول عامة الناس . وآدلر - بصفته عالماً - ينبغى أن يدرك

ذلك . وكان يجب أن يعرف أن لو أصرّ على نشر هذا النوع من العلم الدينى (أى فكرة الاهتمام ^(١) الإجتماعى كتعويض عن العرض) عن طريق العلمانيين ، فلا يمكن أبداً أن نؤيده أو نغول عليه كعقيدة أو مهنة » .

ولكن أدلر لم يعن بالأمر ، ولم يعره اهتماماً . وحسبه أن فعل ما يعتقد أنه واجب يحتم عليه أدائه . وبذلك أعطى العالم نوراً جديداً يعيشون على ضوئه ، ونبراساً يسيرون على هداه .

إن اسم ألفريد أدلر ومدرسة علم النفس الفردى التى أسسها ، لا يعنى عند كثير من الناس سوى أنه يحمل عبارة « عقدة النقص » .. صحيح أن أدلر يسبغ على نفسه صفة « الأب الشرعى لعقدة النقص » ، ولكن علم النفس الفردى يذهب إلى أبعد وأعمق من هذا بكثير ، فهو يؤكد دور الأنا الشعورى أكثر مما يؤكد دور اللبىدو ، أو النزعات الجنسية ، ويؤكد أهمية الأهداف أكثر مما يؤكد العوامل الطفلية ، ويرى أن إحساس العصاب هو الشعور بالنقص الناشئ عن إحباط نزعات السيطرة .

وكانت النقطة التى انطلقت منها هذه الإحياءات بادية الرأى هى الفكرة التى تؤكد أن الإنسان حيوان اجتماعى ، وأن خلقه وطباعه هى نتاج التفاعل بين موهبته الطبيعية والبيئة الاجتماعية .

ويرى أدلر أن ثمة استحالة فى تصنيف الناس ، بل لابد من تفهم

(١) تفيد الكلمة : الاهتمام مع الرغبة أو الشوق والمتعة وإثارة الانتباه .

كل إنسان على حدة ، ويرى كذلك أن التوفيق أو التوافق هو مشكلة الحياة الأولى ، فلا بد من التكيف مع البيئة الاجتماعية وعلى الأخص العائلة ؛ وتوفيق لمواهبنا مع الحرفة أو المهنة ؛ وتوفيق لحياتنا الجنسية مع دور الحياة الذى نختاره ، فلو أن إنساناً أصيب باضطراب فى حياته المتأخرة ، كان مرجع ذلك إلى سوء توفيق فى حياته المبكرة . وكان من الحتم معرفة النقطة التى لم يوفق فيها ، للعمل على إعادة تهذيبه بدءاً منها . وتعليمه كيف يتوافق توافقا صحيحاً مع المشاكل التى لا مندوحة عن مواجهتها .

والنقطة الثانية التى يؤكدها علم النفس الفردى هى سلوك الإنسان فى كفاحه من أجل هدف موضوعى محدد ، فالأفعال التى لا تهدف إلى غاية واضحة ، حتى التى تجرى ضد إرادة الفاعل ، كمعظم أنماط السلوك العصابى ، لها هدف حتى لو كان الفاعل غافلاً عنه .

« ويؤكد أدلر إن كل الكائنات الحية تتميز بالحركة ، وأن كل حركة لا بد لها من هدف وغاية ، لهذا كان لكل كائن حى غاية يسعى نحوها ، وفيما يتعلق بالإنسان خاصة ، يقرر أنه من المحال أن نفهم سلوكه وأعماله إلا إذا تعرفنا على الغاية التى يسعى نحوها » (١) .

وكان أدلر يقول إن طبيعة (النمو) بجميع معانيها هى علة العلل ، وهى كذلك أعظم الجذور . فإذا اصطدمت « الشخصية الإنسانية » النامية بما يعطل نموها ، ويعوق ارتفاعها وامتدادها فالعلل الباطنة التى تتخلف من هذه الصدمة تتطلب التعويض بحيلة من الحيل

(١) انظر كتاب « علم النفس الفردى » للدكتور رمزى إسحق ، (دار المعارف) ١٩٦١ ص

لتغطية الضعف والتنفيس عن الشعور بالنقص أو الدونية ، فيلجأ إلى تعويض ذلك النقص بالكفاح من أجل التَّسامي أو التظاهر أمام الآخرين بالسمو ، وهو كلما أَحَسَّ بهذا النقص عمل على تعويضه ، وذلك بالسعى إلى التفوق في إحدى مناحي حياته .

وتأكيداً لما ينادى به أدلر ويدعو إليه ، يقول (تومسون وولف) في كتابه « كيف تبنى شخصية سليمة » : « إن العاطفة والعقل يتصارعان في الإنسان منذ أن يولد . وتنشأ عن هذا الصراع العقد النفسية التي توجه تصرفات الناس في حياتهم ، وعقدة النقص دافع قوى لتحقيق الأهداف ، فإن الحس بها ومحاولة التخلص منها تعطي الإنسان طاقة جبارة يحقق بها ما يريد ، وقد يستسلم الإنسان لنقصه فيتوارى عن الناس وينقم على حياته ، ويفقد ثقته في نفسه ، وتكون كل حياته ألماً وفشلاً وبأساً . كلنا مرضى بالعقد النفسية ومن الجهل أن نشقى بها في رحلة الحياة من المهد إلى اللحد ، بينما التخلص منها ميسور بالإرادة وتحديد الهدف » .

وعندما يعلن الإنسان عن سلوك معاد لمصلحة المجتمع ، أو يبدي نفوراً من الاختلاط مع الآخرين ، فذلك لأنه ينشد التغلب على شعوره بالنقص بوسائل غير موفقة .. غير موفقة لأنه على حال من سوء التكيف والملاءمة مما يعوقه عن الوصول إلى الهدف المنشود ، وشخص كهذا إنما يرتب لنفسه هدفاً وهمياً (خيالياً) يعطيه إحساساً بالتفوق ، ولكنه - في الحقيقة - غير ملائم ولا مناسب للإنجاز الحقيقي .

ويقول أدلر : « إن الحياة الروحية للإنسان تتحدد بحسب رأيه تبعاً للغاية التي يستهدف الفرد تحقيقها ، والمرتبطة بحاجته للتوافق مع البيئة

التي تحيط به . ولذا فهو لا يمكن أن يتصور العقل البشرى بمثابة أنواع من المجموعات الكهربائية فحسب ، بل بمثابة مجموعات معقدة من الطاقات المتحركة التي تصدر رغم تعددها عن علة واحدة ، وتسعى إلى تحقيق هدف مشترك ، وبالتالي فإننا يمكن أن نتصور وجود هدف للحياة الروحية يتجه نحوه كل صنوف النشاط التي تمارسها هذه الحياة ^(١) .

إن خاصية « علم النفس الفردى » كنظرية ، مهما تكن ميزاتها وعيوبها ، فهي تقوم على الحقيقة التي يؤكد آدلر بأن أهداف الإنسان الكبرى ومشكلاته هي التكيف الاجتماعي ، والنجاح المهني ، وإشباع الحب جسمياً وعاطفياً وروحياً . وأن أسلوب الإنسان في الحياة تحدده الطرق التي يحاول بها إشباع هذه الأهداف .

ولقد تم الاعتراف بهذا العلم كمذهب تأثيرى له نفوذه في المجال التربوى .

ثلاثة كتب عن حياة آدلر :

من أهم ما كتب عن حياة ألفريد آدلر ثلاثة كتب قيمة ، صدرت في إنجلترا منذ أربعين عاماً ، وتعتبر هذه الكتب الثلاثة من الدراسات الجادة والمحايدة عن حياة وأعمال هذا العالم الكبير . وإنها لجديدة حقاً بالقراءة المتأنية والدراسة الواعية ..

(١) عن كتاب « التكوين الروحي وأسرار السلوك » للدكتور رءوف عبيد (ص ٧٥ - نقلاً عن

وكان توفيقاً من الله تعالى أن أسعد بالاطلاع عليها ، وأخرج منها بحصيلة من المعلومات وافرة . ونظراً لما تحتويه هذه الكتب من متعة وفائدة للروح والعقل معاً ، رأيت أن أخصها لقارئى الكريم ، عارضاً كل كتاب على حدة ، عرضاً سريعاً موجزاً على قدر الإمكان :

أول هذه المؤلفات وأهمها ، كتاب بعنوان « ألفريد أدلر : الرجل وأعماله » تأليف « هيرتا أو رجلر » قامت بنشره مؤسسة (س . و . دانييل) عام ١٩٣٩ " Alfred Adler : The Man and his Work "

الكتاب الثانى وعنوانه « توجيه سوء التوافق البشرى » Guiding " Human Misfits - نشرته مؤسسة (فابر) فى عام ١٩٤٠ ، وتأتى أهمية هذا الكتاب من أن المؤلفة هى الدكتورة « ألكسندرا ابنة الدكتور ألفريد أدلر » .

أما الكتاب الثالث فهو كتاب « ألفريد أدلر : رسول الحرية » " Alfred Adler : Apostle of Freedom " تأليف الآنسة فيليس بوتوم . وقامت بنشره مؤسسة (Faber @ Faber) فى عام ١٩٤٦ .

الكتاب الأول :

قبل اليوم الثالث من شهر سبتمبر من عام ١٩٣٩ كان الناس لا يزالون يؤمنون بفلسفة « الفردانية » أو مذهب « الفردية » ^(١) . وهو تعبير لطيف وضرير عن شيء بغيض في الواقع الملموس . إذ أن الذي تمارسه الأمم والشعوب فعلاً هي الأنانية الصرف بكل ما في الكلمة من معنى .

إنها كلمة يمكن أن تكون سبباً في إشعال نار حرب مدمرة لا تبقى ولا تذر . تندثر على إثرها معالم عالم نهفو إلى رؤيته في المستقبل زاهراً زاهراً بالخيرات .

وتستحث حياة الأسرة والمجتمع قوة دافعة مفعمة بالنشاط ، تستثير القطيع البشري بأسره ، وتجعله يهب متأهباً للنضال حينما يرى الأمن المشترك بين عامة الشعب قد انعدم ، والناس يساقون إلى الموت كالأنعام وهم ينظرون .

في هذه اللحظة الحاسمة ظهر كتاب « ألفريد أدلر : الرجل وعمله » بقلم « هيرتا أورجلر » يطوى بين دفتيه فلسفة لو أن أوربا قد اتبعتها حين ذاك وهي مغمضة العينين ، كما اتبعت المعلمين الضالين المضللين من قبل ، لحالت دون وقوع تلك الحرب العالمية ، (١٩٣٩ - ١٩٤٥) .

تشير المؤلفة في البداية إلى أن أدلر كان يمارس في حياته ومع

(١) الفردية individualism : مذهب يقول بأن مصالح الفرد هي أو يجب أن تكون - أخلاقياً - فوق كل اعتبار . وأن أثر السلوك الخلقي إنما يقع دائماً على فرد أو أفراد معينين .

نفسه ما كان يبشر به ويدعو إليه فى عظاته ومحاضراته التى كان يلقيها بانتظام فى الكليات والجامعات ، منذ عام ١٩٢٦ حتى سنة ١٩٣٧ حين مات فجأة فى مدينة أبردين Aberdeen وهو يلقي محاضرة فى جامعتها .

وتشير أيضا إلى أن آدلر كان قد اقترح عليها عنواناً للكتاب هو : « قائد حركة علم النفس الفردى » ، كما أمدها بأمثلة توضيحية ومعلومات قيمة عديدة زوّدت بها الكتاب .

« وبدلاً من تجميع النظريات وتكديسها ، قام آدلر بتأسيس مذهب مدعم علمياً عن العشرة الطيبة ، وزمالة الأخيار من الناس بما تنطوى عليه قلوبهم من عطف ومودة . وقد كان هو نفسه يعيش حياته على أحسن ما تكون الحياة من دمائه الخلق وحسن المعاملة .

ولم يكن آدلر يتمنى أكثر ولا أفضل من أن يلقي قبولاً حسناً لدى الأجيال المقبلة ، « ينظر إليه كصديق صدوق للجميع » . ولقد ختم إحدى محاضراته ذات مرة بقوله : « أتمنى أن تكونوا جميعاً على حال من الشعور بالنقص المبدع الخلاق » . غير أنه كان يلفت النظر دائماً إلى أن عبارة « العقدة النفسية » كثيراً ما يساء استعمالها ، ويجب أن يوجه الانتباه إلى التمييز بين عقدة النقص . والشعور بالنقص ، لأن التعبيران ليسا شيئاً واحداً . فالتعبير الأخير إنما هو أمر سوى عام ، بل أمر نافع ، ويقصد به المنبه أو الحافز الذى يستثير الكائن ويدفعه للتقدم نحو الهدف ، أى التفوق والبلوغ إلى غايات سامية .

أما عقدة النقص فهى أكثر عمقاً وأكثر صعوبة فى فهمها ..

كما أنها تنطوى على خطر . ويحدد أدلر معنى هذا المصطلح بطريقته المعتادة الواضحة بأنه : « هو العجز أو القصور أو عدم القدرة على حل مشكلات الحياة » .

ثمة كثير من الناس يشكون ويتذمرون من سوء حظهم فى الحياة منذ ولادتهم ، ويعتقدون أنه مقدّر عليهم أن يكونوا مغلوبين على أمرهم ، محكوم عليهم بالفشل طول حياتهم ، طبقاً لقوانين الوراثة ..

وفى الواقع ، مهما يكن من أمر ، فإن الصحة النفسية ليس لها علاقة البتة بالظروف التى وضعتنا فى مكاننا فى الحياة ، أو فى مراكزنا فى العمل ، أو فى وجودنا فى العائلة ، وليس لها أية علاقة بالسماوات أو القوى التى انتقلت إلينا من أجدادنا وأسلافنا ، ولكنها ترجع جميعاً إلى « ترجمتنا » نحن لمعنى تلك العوامل ، ودلالاتها ، وأهميتها .. « إن الحقائق لا تقرر ولا تحسم أمراً ، وإنما المعانى هى التى يضيفها الفرد على تلك الحقائق » .

وتقتفى المؤلفة أثر مراحل حياة العالم النفسانى الكبير منذ طفولته المبكرة ، وتبين للقارىء كيف تعرض أدلر للموت أكثر من مرة فى بواكير حياته ، فقد أصيب فى طفولته بالكساح وبتقلص فى البلعوم ، وفى سن الرابعة أصيب بالتهاب رئوى ، ودهمته السيارات مرتين فى شوارع فيينا .. ومنذ ذلك الحين اتجهت رغبته إلى دراسة الطب . واستحثه كل ذلك على أن يكون واحداً من أعظم رواد البشرية .

وتصف المؤلفة كذلك كفاحه للتغلب على نقصه العضوى . وللسيدة أورجلر أسلوب صريح ومباشر فى تحرى الصدق . ولا غرو

فإنها بذلك تقتدى بأستاذها الذى تكن له كل حب وتقدير ..

إن أى شخص عنده شك تجاه قضايا علم النفس الفردى ، وأى فرد يهتم فى الدرجة الأولى أن يكون أميناً فى تربية الأطفال ، لا يمكن أن يجد أفضل من الرجوع إلى هذا الكتاب الطريف ، القيم ، ليس فقط لأنه يتضمن جميع أفكار وممارسات طبيب عقلى ذائع الصيت فى خلال حياته ، ولكن لأنه يقيم الدليل القاطع على أن مؤسس علم النفس الفردى عاش حياته عيشة راضية مرضية ، دؤوباً على مزاولة أفكاره وآرائه ومعتقداته التى كان يطبقها عملياً .

الكتاب الثانى :

وهذا الكتاب الذى قامت بتأليفه الدكتورة ألكسندرا ابنة الدكتور ألفريد أدلر مؤسس علم النفس الفردى ، فقد سارت فيه على نهج والدها ، ملتزمة بالنظريات العريضة والواضحة لعلم النفس الفردى .

وكان من الطبيعى أن تركز المؤلفة - على وجه الخصوص - على حياة الطفل فى هذا المؤلف القيم . ذلك لأن سمات الشخص إنما تتحدد ملامحها - بحسب علم النفس الفردى - فى العشر سنوات الأولى من حياة الفرد ؛ ولأن كل فرد له أسلوب خاص صبّت فيه شخصيته فى سنوات طفولته نتيجة لحالاته العضوية ، وخبراته النفسية ، وعلاقاته الاجتماعية .

ومن هنا فإن الطفل ينشأ تدريجياً وبجهد « نموذجاً للسلوك » يتخذه وسيلة للنظر فى أمور الحياة والعمل فيها من أجل الهدف العام ، وهو النزوع إلى البقاء .

ولقد أفاضت الدكتورة ألكسندرا فى الحديث - كما فعل أبوها من قبل - عن أهمية وضع الطفل فى الأسرة (الطفل الأول أو الثانى أو من يليهما) ، من جهة الطبع ، وتصرفات الوالدين ، والتجارب المبكرة فى المدرسة ، وأى معوقات مادية أو عاهات جسمية ، وكيف تؤدى هذه الأمور دورها فى تشكيل « نموذج السلوك » .

ولكن بالرغم من أن المؤلفة تركز دائماً على الطفولة ، غير أنها أفردت فصلاً كاملاً عن المراهقة ، والجريمة ، والأحلام ، والذاكرة .
والكتاب فيما عدا ذلك زاخر بالعبارات الرائعة المعبرة ، نقتطف منها ما يلى :

« من الممتع والمفيد جداً أن نبحث ونستقصى عن السبب الذى يؤدى إلى اختفاء العرض العصابى ، وكيف أنه سيختفى فعلاً إذا فقد العرض أهميته عند المريض » .

« يؤدى سوء التوافق ^(١) إلى قيام عقدة نفسية تشعر الشخص بالنقص والدونية . والشخص كلما أحس فى نفسه بهذا النقص عمل على تعويضه ، وذلك بالسعى إلى التفوق فى إحدى مناحى حياته » .

« إن الشعور بالدونية قد يأتى من عاهة أو نقص جسمانى ، أو يصدر عن أى عبء إضافى سواء كان اقتصادياً ، أو اجتماعياً أو عائلياً ، وعلى أساس هذا الشعور بالدونية ترسم خطوط الشخصية وخط سيرها لإخفاء هذا النقص أو تعويضه تعويضاً معتدلاً أو مبالغاً فيه . فليس النقص فى ذاته هو الذى يلوّن الشخصية ، بل رد الفعل الذى يكون

(١) سوء التوافق ، أو عدم المواءمة : هو عدم انسجام الشخص وتكيفه مع مجتمعه .

لهذا النقص فى نفس الإنسان » .

« إن الإصابة بالعقد النفسية أو الشعور بالنقص ليس من الأمور الهامة ، بل المهم هو كيف تنظر إليها ، وكيف نسمح لها بأن تعمل ، وذلك بأن نتحكم نحن فيها ، ونخضعها لأهدافنا وبرامجنا ، وأولى وسائل التحكم فيها هو معرفة سببها ، سواء بتحليل أنفسنا ، أو تحليل أحلامنا ، إن كانت العقدة ناشئة عن ذكرياتنا المنسية » .

« من بين الجوادث والأحداث التى لا يحصى عددها والتى تقع فى يوم سابق ، يتركب الحلم من تلك الأحداث التى تتعلق بالحالم فعلاً ، وتبدو له أنها ذات أهمية فى اتخاذ قراره ، وفى تحديد اختياره للمقرارات التالية فى الحياة » .

« أى نوع من العلاج النفسى محصور ضمن حدود نماذج معينة من الناس ، وهذا العلاج النفسى لا يمكن تطبيقه على الأشخاص اللادينيين ، الذين لا يؤمنون بدين ولا يهتمون بعبادات أو تقاليد » .

الكتاب الثالث :

هل ساعدك علم النفس ؟

هل جعلك قادراً على فهم نفسك ، وفهم عائلتك ، وأصدقائك ، بطريقة يستحيل معها أن تتم بدون أن تلمّ به ؟

هل هو مرشدك فى حل مشكلاتك ، وما يواجهك من مصاعب الحياة ؟

إذا كان ذلك فأنت مدين بالفضل لألفريد أدلر ، فهو الذى

استطاع أن يأخذ بيدك لتعرف نفسك .. وهو الذى أخرج علم النفس من غرفة الاستشارة ليدخل فى بيوت الناس جميعاً ..

إن قصة هذا الرجل العظيم ، ذائع الصيت ، فى المعرفة الإنسانية والسعادة البشرية ، والذى يطلق عليه بحق « الأب الشرعى لعقدة النقص » - قد روتها لنا الآنسة فيليس بوتوم فى كتابها : « ألفريد أدلر : رسول الحرية » وهو مزود بفهرس يبين غرض المؤلف من تأليف الكتاب .

والآنسة فيليس بوتوم كاتبة روائية ذائعة الصيت ، وباحثة نفسانية ذات مكانة مرموقة وشهرة عالمية ، وقام تأليف هذا الكتاب على أساس معرفتها الشخصية بالدكتور أدلر ، فقد كان بينها وبينه صداقة وطيدة وحميمة ، وقد استجمعت فى تأريخ هذه الحياة كل جهدها وكل مهارتها وبراعتها وخفة روحها . واستطاعت أن تقرر بحق أنها نجحت تماماً فى موضوعها . وكانت النتيجة هى هذا المجلد القيم غير العادى .

وكانت رغبة أدلر التى كان يتمناها هى أن تكتب الآنسة بوتوم سيرة حياته . والكتاب يحتوى على عديد من القصص الإنسانية الواقعية التى يستشف منها القارئ كثيراً من المميزات الخاصة بأدلر كانت تعتبر عند كثير من الناس درساً نافعاً وموعظة حسنة .

كانت ابنة أدلر الثانية الدكتورة ألكسندرا ، تعانى فى طفولتها من صعوبة فى مادة الحساب ، وفى ذات يوم عندما عادت من المدرسة إلى البيت قالت لأبيها وهى حزينة مكتئبة : « إن معلمتى تقول إنى غبية فى الحساب ولن أقدر على فهمه أبداً » .

فسألها أدلر : « وهل صدّقت كل ما قالته لك مدرّستك ؟ ما الذى جعلك تظنين أنها على حق فيما تقول ؟ » .

تقول الآنسة بوتوم : « لقد غيّر هذا السؤال الاتجاه ألكسندرا تماماً . فهى تقول إنها لم تعد تقبل رأى أى شخص بعد ذلك قضية مسلمة ، سواء فيما يتعلق بها شخصياً ، أو بما يختص بأناس آخرين ؛ وأصبحت - منذ ذلك الحين - نابعة فى مادة الحساب لدرجة عالية » .

جىء إلى أدلر بطفل صغير فى إحدى عياداته العامة المخصصة للأطفال . وكان هذا الطفل « مصدر يأس لمدرّسته » ، إذ أنه كان يلفت الانتباه إليه دائماً بسوء سلوكه وتهريجه وإفساد نظام الفصل .

« وبعد أن صافح أدلر الطفل ببشاشة وترحاب ، لم يقل له أى شىء ، ولكن عندما رأى أن عيني الطفل كانتا مركّزتين عليه نهض واقفاً ببطء شديد على رؤوس أصابعه مشرباً إلى أعلى ما يستطيع . ثم عاد ثانية إلى وقفته العادية ببطء ..

« فسّر أدلر هذه الحركة بقوله : (إننى أجعل نفسى أكبر من حقيقتى ، وأنت أيضاً تريد أن تجعل نفسك أكبر قليلاً من كل الآخرين ، أليس كذلك ؟ .. ولكن هناك وسائل أخرى يمكن أن تفعلها غير إفساد نظام فصلك) .

« ولم يقل أدلر شيئاً أكثر من ذلك . أما الصبى فقد بدأ بعد ذلك يتصرف كبهلوان ، ومنذ تلك اللحظة فقط كان على المعلمة أن تقف على أطراف أصابعها ، فيحمر وجه الصبى من الخجل والارتباك ، ولم يعد الفصل بعد ذلك سيرته الأولى من الفوضى التى كان سببها)

ما كان لأحد أبداً أن يفهم الأطفال أكثر من أدلر ، ولا يحبهم أكثر منه ، وكانوا يستجيبون له فى الفهم ، ويبادلونه الحب .. وعندما زار مستشفى بيركيه للأطفال فى فيينا ، Hospital Pirquet Lhildren's ، اكتشف القائمون على المستشفى أن أدلر عنده قدرة خارقة لا تصدق فى تهدئة الأطفال ، حتى لقد أصبح من العادات المرعية فى إجراء العمليات الجراحية بالمستشفى استدعاء الدكتور أدلر ليباشر أية عملية جراحية مؤلمة .

ولقد ساعد أدلر عدداً وافراً يفوق الحصر من الرجال والنساء فى حلّ « صراعاتهم » (١) Confliets ، فى حين أنه هو نفسه كان يعانى من صراعات خاصة به ، ففى خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) ، كانت إحدى المهام الشاقة التى كان يؤديها فى الخدمة العسكرية « فحصه للضباط الناقهين الذين يمكن أن يقرر عودتهم ثانية إلى خنادقهم » وكانت هذه المسئولية تزعجه جداً ، وكانت تنتابه من جرائمها الهواجس التى تقض عليه مضجعه .

(١) الإظهارية exhilationism : نزعة المرء إلى إظهار مقدراته أو إلى السلوك بطريقة تلفت أنظار الناس إليه .

(٢) الصراع : حينما يجد الإنسان نفسه إزاء دوافع للقيام بعملين أحدهما مضاد للآخر من وجه ما فيقال عنه إنه فى حالة صراع ، فالصراع هو نتيجة التفاعل المتبادل بين العوامل التى تعمل إما لإيجاد التوافق أو عدم التوافق ، إنها عوامل طبيعية فى حياة الإنسان ، ولا تكون شاذة إلا فى الحالات الملحة أو التى يكون فيها عدم التوافق متطرفاً .

قال أدلر للأنسة بوتوم :

« .. ومنذ ذلك الحين توقفت الأحلام عني جميعاً بقية حياتي ، أو بالأحرى ، علمت نفسي منذ ذلك الوقت أن أنسى بمجرد استيقاظي من النوم أية أحلام شاهدتها مهما كانت ، فلقد رأيت أنني كنت أحاول خداع نفسي في أحلامي ، بالسماح للضباط أن يطلق سراحهم من الخدمة وينطلقوا أحراراً ، ولا أزال أحاول إطلاق سراحهم في ساعات يقظتي ، غير أنني عرفت بعدئذ ماذا كان عليّ أن أقوم به من واجب » .

وكان هناك أيضاً صراع في حياته الخاصة . لقد كان الزواج مصدر سعادة عظيمة بالنسبة له .. ولكن كان ثمة اختلاف في وجهات النظر ، والتوجيه ، والثقافة ، والمزاج بين طبيب نمساوي وزوجته الروسية ، مما كان يضطرهما إلى خلق المتاعب . وقد افترق أحدهما عن الآخر فترة من الزمن ، كما كان هناك أيضاً إغراض وتباعد بين الفينة والفينة ، ولكن الحكمة وطول الأناة والتسامح من كلا الطرفين ، وقبل كل ذلك جميعاً - جبهتهما الحقيقي - كان كل ذلك له الغلبة في النهاية .. ومن ثم يكون الانسجام . « فقد كانت واجبات كل منهما على الآخر تتم على نحو رائع . وظلت هاتان الروحان القويتان مرتبطتين إحداهما بالأخرى حتى فرق الموت بينهما » .

وتعلن الأنسة بوتوم في كتابها القيم أن أدلر « قام بتوجيه جميع أصدقائه ومرضاه شطر المهمة واجبة الأداء ، والتي تحتّم على الفرد أن

يكون حرّ الإرادة ، يتمتع بالاستقلال الذاتى ، معتمداً على نفسه .
وهذا هو الواجب الذى كان يباشره أدلر فى عمله ، فقد أخذ
على عاتقه أمر العناية بتعزيز الفرض الأسمى من الأخوة الإنسانية ،
وحب الإنسان لأخيه الإنسان .

وتقول المؤلفة إن « ألفريد أدلر كان يحب التناقض الظاهرى ،
وكانت حياته قائمة على التناقضات الظاهرية » . ويمكن أن يرى الفرد
كيف يكون هذا الأمر منعكساً على تعاليمه ، كما يمكن أن يذكر
الكفاح الشعورى من أجل التفوق ، والإحساس اللاشعورى بالنقص ،
ذلك الشعور الذى يكون وحدة دينامية فعّالة ، مليئة بالقوة والنشاط ،
فى سيكولوجيته كيما يحقق صدق هذا البيان .

وكان أدلر معوقاً مادياً كذلك ، ومقيدة حريته ، وكان لظروف
طفولته أثر كبير فى تكوين نظريته عن « الكوكبة » أو « اللّمة »^(١)
Constellation العائلية . وكان أدلر نفسه يعترف بهذا التأثير : « إن
النقص العضوى المبكر الذى قاومته بشدة لكى تغلب عليه ، بالإضافة
إلى علاقة مبكرة ببعض أحداث جرت فى محيط الأسرة ، قوّضت
أركان بنائى النفسى ، وغيّرت موقفى تجاه الحياة . وكان ثمة دافع قوى
يلجّ علىّ بعدم التلكؤ خلف أخى الأكبر (البكر) الذى كان يبدو لى
مثاليا يحلّق إلى أعلى بعيداً عنى ، أما أولئك الذين اعتادوا على ما
قمت به من عمل استغرق عمري كله ، وهو علم النفس الفردى ،
فسوف يرون بوضوح الانسجام والمطابقة الموجودة بين حقائق طفولتى

(١) هى مجموعة متماسكة ومتألّفة من الأفراد فى المجتمع الأسمى .

وبين الرؤى والآراء التى عبّرت عنها فى دراساتي عن النقص العضوى
Organ inferiority .

ولما أراد أدلر « أن يحقق الوجود العملى لمبدأ (أحب جارك) ،
(الناس كلهم أخوة) » قوبلت رغبته هذه بمعارضة شديدة من زملائه
المحترفين ، والمشتغلين بمهنة تقتضى ثقافة وعلماً ، وبالرغم من تفانيه
وإخلاصه لروح الخدمة لعامة الشعب فقد تخلى عنه أصدقائه ، ولكنه
صمم على مواصلة الجهد بحزم وعزم وبشاشة ، حتى وافته منيته .

والكتاب يخدم غرضاً نافعاً كذلك ، هو تصحيح فكرة خاطئة أو
فكرتين اثنتين نفع عليهما أحياناً فى الكتب الجامعية الخاصة بعلم
النفس . الفكرة الأولى هى أن أدلر كان تلميذاً لفرويد .. وفى فصل من
الكتاب أفرد لمقارنة ممتعة وشائقة بين عالمى النفس المرضى ، والسبب
الذى جعلهما لم يفلحا فى الانسجام معاً ، تقول المؤلفة مؤكدة أن
ذلك يرجع إلى فرويد كان قد دعا أدلر مرحباً به للانضمام لدائرته
كنظير مساوٍ له فى الدرجة .

ومهما يكن ، فإن الفرويديين وربما الأدلريين أيضاً سيخيب أملهم
عندما يجدون المؤلفة تميل إلى انتزاع إكليل المجد والشهرة من فرويد
ووضعه على رأس أدلر .. فإذا كان فى السيرة ما يمكن أن تؤخذ المؤلفة
عليه فليس ثمة غير هذه الزلة الوحيدة التى انزلت إليها ، فلقد كان
فى استطاعة أدلر أن يقف على قدميه وحده بدون مساعدة أو مساندة
أحد من مناظريه أو منافسيه .

خلاصة القول إن قيمة الإسهام الذى قدّمه أدلر لفهم الطبيعة

البشرية ، كما تقول الأنسة بوتوم ، هو « إن تفسير أدلر لمذهب الإحساس العام Comman - sense Method ، قد قدّم أكثر ما يمكن تقديمه ليجعل من علم النفس شيئاً ميسوراً للجميع . ولكي يتقدم به إلى أمام حتى يكون علماً تطبيقياً وعملياً أكثر من أى عامل مفرد آخر » .

وأعتقد أن قراء الأنسة بوتوم سيوافقوننى على أن أدلر لو وقف بقدمين ثابتتين راسختين على أرض « الإحساس العام » بصورة صائبة وحصيفة ، لتفادى فى الحال وبنجاح تلك الاعتراضات التى كانت تجابهه ، وربما زاد مذهبه قوة على « الجنسية الشاملة »^(١) ismiPansexua الخاصة بفرويد ، والصوفية Mysticism التى اختص بها يونج .

ولقد كان الكتاب بالحق مفعماً بالحياة والحيوية ، تزخر صفحاته بعدد وافر من النوادر والملح التى لها صلة بمرضى أدلر من الراشدين والأطفال على السواء ، وكثير من الفكاهات التى كان يرويها أدلر ، والتى كانت تروى عنه . إذ أنه كان معروفاً بروح الدعابة وطلاقة الحيا .. كما أنه تضمن عدداً غير قليل من أقوال أدلر التى تنطوى على الحكمة البارة ، والمعلومات المفيدة ، والموعظة الحسنة ، يجمل بنا أن نورد بفضاً منها فيما يلى :

« إن المرض والصحة فى الجسم هما عمليات طبيعية . أما المرض فى النفس فهو الجبن بعينه ، وأما الشجاعة فهى صحة النفس » .

« إن القتال من أجل مبادئ الفرد أسهل دائماً من أن نقضى

(١) الوصف الذى أطلقه أزداد فرويد على مذهبه فى علم النفس وإقحامه للجنس فى تفسير أغلب

الحياة وفق تلك المبادئ » .

« إنت لا تستطيع أن تغير الحقائق ، ولكن يمكنك أن تغير طريقتك فى نظرتك اليها واهتمامك بها » .

« إنتك لن تجيد عملك الخاص بك ، إذا أوليت كل اهتمامك بالنظر إلى عمل الآخرين » .

وقال لأحد مرضاه قبل أن يرحل عنه : « تسألنى عن الشئ الأكثر أهمية لك لتذكره حتى نلتقى مرة أخرى ؟ . يمكنى أن أقول لك : (إعط !) . إنتك لا تستطيع أن تعطى كثيراً ، ولكن عليك أن تعطى وتبذل فى العطاء ! ومهما أعطيت وبذلت فلن يكون فى ذلك الكفاية » .

« هل هناك بين الناس من هو أفضل ممن كان على ضلال فاهتدى ، ومن كان مذنباً فتاب توبة النادم على ما اقترف من آثام وذنوب ؟ » .

إن هذا الكتاب الذى قامت بتأليفه الأنسة بوتوم ، كتاب رائع ولافت للنظر ، يعكس منتصف الطريق الذى اتسم بصفة الميزة فى الموضوع ، ويعبر عن نفسه بأسلوب توكيدى مبسط ، مفرغ فى صيغة بسيطة يفهمها القارئ العادى ، ويفسح لنا المجال فى أثناء قراءته لتبادل الألفة والمودة مع رجل عظيم كان أهلاً للحب والتقدير .. لقد أعطانا بالفعل إيماناً جديداً ، وفهماً جديداً ، ونظرة للحياة جديدة ، وفوق ذلك جميعاً ، بعث فىنا شجاعة جديدة .

وهذه هى قصة رجل عرف واختبر كل مواطن الضعف فى
زملائه وأخذانه . ولمس عن قرب حالاتهم ، وساعدهم فى ضيقهم ،
وأحبهم بأحبوه .

كارل جوستاف يونج

مؤسس علم النفس التحليلي

ولد كارل جوستاف يونج Karl Yung في ولاية كانتون إحدى أقاليم سويسرا في يوم ٢٦ يوليو من عام ١٨٧٥ م . وكان أبوه قسيساً بروتستانياً ، أتم دراسة الطب في جامعة بازل Basel ، وحصل منها على الإجازة النهائية في الطب .
I love you Basel
I need you marpat
بدأ حياته العملية منذ عام ١٩٠٠ م باستخدام منهج فرويد في التحليل النفسي في عيادته النفسية في زيوريخ بسويسرا بجانب عمله في المستشفى الحكومي الخاص بالحالات العقلية ، وفي عيادة طب الأمراض العقلية بجامعة زيوريخ .

وظل حتى عام ١٩٠٩ م يجمع بين الدراسات الطبية والتخصص في علاج الحالات النفسية والعقلية .

وفي خلال السنين ١٩٠٥ - ١٩١٣ قام يونج بالقاء سلسلة من المحاضرات في علم الأمراض العقلية والطب النفسي في زيوريخ ، وبناء على دعوة منه انعقد أول مؤتمر لمدرسة المعالجين النفسيين ، في سالزبورج بالنمسا .

في عام ١٩٠٠ تلقى العلم في باريس ، وتلمذ على يد بيير جانيه ^(١) Pierre Yanet .

(١) بيير جانيه (١٨٥٩ - ١٩٤٧) عالم نفسى فرنسى وطبيب أمراض عقلية ، أكد تأثير العوامل النفسية الشعورية في المرض النفسى ، وطوّر أسلوب العلاج عن طريق الإيحاء وتعديل البيئة . من أهم مؤلفاته : « أهم أعراض الهستيريا » .

وفى ذلك الحين كان اهتمام يونج شديداً بـ «سيكولوجية الأعماق» ،
أو علم نفس الأغوار^(١) Depth Psychology وقد نشأ هذا الاهتمام عن
ملاحظته لإحدى حالات السرمنة^(٢) Somnambism ، وتوصل عن
طريق دراسة هذه الحالة إلى أن الشخصية اللاشعورية كانت شعوراً سابقاً
(أو توقعاً سابقاً) لمستقبل المريض .

وكان أول مؤلف له هو كتاب « سيكولوجية الخبل المبكر »^(٣) " The Psychology of Demenya Praecox " .

وفى عام ١٩٠٦ التقى يونج بفرويد وتعاونوا معاً حتى عام ١٩١٣ ،
وفى خلال هذه السنين أسس الجمعية الدولية للتحليل النفسى فى
زيوريخ وكان رئيساً لها ، كما نشر بالاشتراك مع زميله فرويد وبلولير
Bleuler خمسة مجلدات من الكتاب السنوى لعلم النفس التحليلى
Year Book for Psycho - analysis

وفى عام ١٩١٢ ، وفى أثناء طبع كتابه « سيكولوجية اللاشعور »
The Psychology of the Uneonscious أعلن يونج انفصاله عن
فرويد وعدم موافقته على مذهبه فى التحليل النفسى ، وبدأ التعاون
مع « مايدر » Maeder فى تكوين مدرسة جديدة فى الفكر
السيكولوجى فى مدينة زيوريخ ، ومن هنا كانت البداية لمذهب يونج فى

(١) وصف للمذاهب النفسية التى تبحث فى مستويات نفسية أعمق من الشعور ، أى التى تبحث
فى اللاشعور .

(٢) الجولان التومى ، أو السيز فى خلال النوم مع بعض الإدراك ، حالة مرضية يسير فيها المريض
ويتجول وهو نائم .

(٣) ضرب من الجنون ينشأ عادة فى أواخر عهد المراهقة ، ويتميز بفقدان الاهتمام بالناس والأشياء
وبسلوك غريب منحرف .

علم النفس التحليلي أو كما يسميه البعض ، علم نفس العقدة ، مؤكداً اهتمامه بالأبعاد الاجتماعية والثقافية لسلوك الإنسان ؛ وأن اللبيد و طاقة أولية لا جنسية ؛ وأن ثمة مستودعاً ضخماً لطاقة عامة غير متميزة تنبثق منها القوى الدافعة للإنسان في حياته ؛ وأن وراء اللاشعور الفردي لا شعور جمعي ؛ وأن هناك نمطين للشخصية : انبساطي وانطوائي ، ينقسم كل منهما إلى أربعة أنواع وفقاً للعمليات النفسية : التفكير ، والوجدان ، والإحساس ، والبديهة ، بالإضافة إلى « إرادة الحياة » . معارضاً بذلك توكيدات فرويد التي قدمها عن أهمية الدافع الجنسي والغريزة الجنسية ، رافضاً في الوقت ذاته تعليقات فرويد الجنسية للعصاب .

ومن عام ١٩٣٣ حتى عام ١٩٤١ عين يوج أستاذاً لعلم النفس في جامعة العلوم التطبيقية الاتحادية في زيوريخ .

ومن عام ١٩٤٤ إلى عام ١٩٤٥ عين أستاذاً لعلم النفس الطبى في جامعة باسيل .

ولقد قام يوج برحلات عديدة في بلاد متعددة لإلقاء المحاضرات ، وللبحث عن المادة الأصلية ، المبدعة ، التي يمكن أن تستحثه على توليد بحوثه العلمية .

ونال يوج درجات الشرف من عدة جامعات ، منها جامعتي هارفارد وأكسفورد . واختير زميلاً شرفياً لجمعية الطب الملكية بلندن ، وعضواً في اتحاد علم النفس الطبى الملكى ، وعضواً بجمعية البحث الروحى بلندن . ومنذ ذلك الحين كان يياشر عمله كمدير لمعهد س .

ج . فى زيوريخ الخاص بتدريب كل من الأطباء النفسيين والأطباء العاديين حسب مفاهيم « علم نفس العقدة » .

الرواد الثلاثة :

كان يونج آخر من بقى على قيد الحياة من الرواد الثلاثة لعلم النفس الحديث . والاثنان الآخران هما - بالطبع - فرويد وآدler . وظلت مفاهيم يونج وتصوراته السيكلوجية - رغم صعوبها - فى تطور ونمو متزايد على امتداد ما يزيد على نصف قرن من الزمان .

وعندما التقى يونج مع فرويد لأول مرة فى عام ١٩٠٦ - كان علم النفس لا يعدو أن يكون أكثر من بحث فلسفى لظواهر العقل الشعورى ، ولكن ، ولحسن حظ يونج أن قدر له أن يعيش حتى يرى ويسمع كلمة « لا شعور » وقد تم الاعتراف بها كجزء من مجموعة المفردات التى يستخدمها كل إنسان مثقف .

وكان يونج قد بدأ منذ مستهل حياته يعنى بدراسة الظواهر غير المألوفة ، أو تلك التى يطلق عليها أحياناً الظواهر الوسايطية ، ووضع فيها رسالته للحصول على الدكتوراه ، واقتنع بدلالاتها الحتمية فى استقلال الوعى عن المخ وخلود النفس ، فأسس للتحليل النفسى مدرسة جديدة قائمة بذاتها ، استقلت فى العديد من جوانبها عن مدرسة فرويد تسمى « مدرسة علم النفس التحليلى » Analiticeal Psychology .

واستنكر البعض اهتمام يونج بدراسة التصوف والعلوم الروحية ، واعتبروا سيكلوجية ليست متفقة مع العلم أو الأساليب العلمية ، وأجاب يونج على هذا الهجوم المفاجئ بأنه إنما يستخدم المناهج التى تقوم على الخبرة والتجربة العملية ، بدلاً من تلك التى تقوم على

مبادئ عقلية نظرية ، وأنه يقوم بتدوين وتسجيل ما يشاهده فحسب ، وهو بذلك يعتمد على الملاحظة والتجريب بدون استعانة بالعلم أو النظريات ، فالمعرفة كلها مستمدة من التجربة .

أما فيما يتعلق بعدم الاتساق وعدم التماسك الواضح في فكره ، فيجيب يونج على ذلك بأن الوقت لم يحن بعد لإيجاد نظام سيكولوجي شامل يمكن أن يفسر ويعلل خبرات العقل البشري .

وحقيقة الأمر في موضوع الخلاف - كما صرح الدكتور « كريشتون ميللر » Dr. Lriehton Miller - هي أن سيكولوجية فرويد تهدف إلى الطراز المنبسط للعقلية التي تفكر بلغة الحتمية العلمية ^(١) Determinism ، في حين أن سيكولوجية يونج تهدف إلى الطراز المنطوي للعقل الذي يفكر بلغة الإمكانيات المطلقة ، أو الاحتمالات غير المحدودة لتحقيق الذات ^(٢) self - realization أو اهتداء المرء إلى ذاته .. ويهدف يونج من وسائله العلمية للعلاج إلى جعل مرضاه يحسّون - بحسب زعمه - بانعكاس نور الله في داخلهم .

ويؤكد يونج أن « إدراك الذات التي تجمع الكل في قبضتها هـ آخر المطاف في العلاج لأنها الإنسان كله . فالذات self هي مر المسلمات ، لها ما يبررها دون القدرة على إثباتها علمياً » . ويصف يونج الذات بالنار المركزية ، واتصال الإنسان بالله ، وبؤرة النفس التي يتجلى فيها الله بوضوح ^(٣) .

(١) مذهب يقول بأن أفعال المرء والتغيرات الاجتماعية ، الخ .. هي ثمرة عوامل لا سلطة للمرء عليها .

(٢) تحقيق المرء كفاءاته الكامنة أو إمكانيات شخصية .

(٣) عن « الموسوعة المختصرة في علم النفس والطب العقلي » للدكتور وليم الخولي ص ٤٣ (عن دار

وقد اهتم يونج بدراسة التنجيم والأساطير القديمة ، والقصص الخرافية ، وديانات الشرق والغرب ، وقراءة الأفكار ، والعلوم الروحية وبخاصة التلبائي والاستشفاف (الجلاء البصرى والجلاء السمعى) ، والتصوف والأحلام . وكل هذا - فى رأيه - يشكل مادة لأفكار عقلية من أكثر العقليات شمولاً ونفاذاً فى تاريخ علم النفس والتحليل النفسى ، وإنه يفسّر النفس الإنسانية ويكشف عن الجذور العميقة وراء العلم والمنطق ، وإن لم يثبت منها شىء فى معامل الطبيعة وقضايا الفلاسفة ، فإنها لغة أخرى من لغات التفاهم بين عالم الغيب وعالم الشهادة ، لا فرق بين إلغائها وإلغاء الحس والفكر ، لأنها لم تكن لتوجد لو لم تكن معبرة عن معنى غير المعانى المعروضة على الحس والتفكير .

ولم يقل يونج قط إن الخرافة تحل محل البحث العلمى والقضية المنطقية ، ولكنه كان يقول ويعيد القول إن البحث العلمى والتفكير المنطقى كلاهما جدير بتفسير الخرافة وتفسير البواطن التى تشير إليها ، وإن الخطأ فى تفسيرها أولى بالعقل من إنكار وجودها وإنكار حق النفس البشرية فى التخبط بين غياهب الظلمات ، كلما قصرت الأضواء عن بلوغ ذلك القرار .

واختبر يونج بنفسه العديد من الأحاسيس المسبقة باقتراب بعض الحوادث ، والأحلام التنبؤية (إذ حلم بوفاة أمه قبل حدوثها) ، والطرح الروحى فى أثناء النوم ، والسياحة مع أرواح الموتى ، كما كانت له اختبارات خاصة فى الجلاء البصرى ، وتلقى رسائل بطريقة التخاطر (التلبائي) ، والطرح الروحى عندما شخّصوا وفاته خطأ بسبب نوبة قلبية ، وظل لمدة ثلاثة أسابيع بعدها فى ذهول من نفسه مما رآه فى

طرحه الروحي في خلال فترة مرضه في أوائل سنة ١٩٤٤ .
واختبر بنفسه أيضاً ظاهرة « رؤى من قبل » ^(١) .

ويقول يونج « إنه يحب أن يذكر القارئ بوجود ظواهر وراء
روحية Parapsychie Phenomena لا يقدر قيمتها الحقيقية إلا أولئك
الذين أتاحت لهم فرصة الاقتناع بها عن ملاحظة شخصية » ^(٢) .

وهذه هي نفس الظواهر التي يطلق عليها أيضاً وصف « الظواهر
غير المألوفة » ^(٣) .

وهذه الظواهر كشفت ليونج عن وجود الروح لا عن ماهيتها ،
وجوهرها ، وأسرارها الدفينة ، التي لم يزعم أحد علماء البار
سيكولوجي أنه قد حسم أمورها على نحو أو آخر ، ولو حسماً جزئياً
كما فعل العلم المادى بالنسبة لبعض أسرار المادة الصلبة .

وهذا هو بعينه ما صرّح به كارل يونج عندما أراد أن يوضح نظريته
في « التفرد » indiuiduation ^(٤) وهذا التفرد في تقدير يونج يشل اتحاد
الشعور بالاشعور ، وهو أسمى حالة روحية يمكن أن يرقى إليها
الإنسان ، وهذا الاتحاد يعنى عنده ذوبان أحدهما في الآخر ، وهو الذى

(١) كل هذه الوقائع دونها يونج بنفسه في كتاب له عنوانه :

Memories, Adventures, and Reflections " ١٩٦٣ راجع منه بوجه خاص ص

٢٥٤ - ٢٥٥ ، ٥٢١ / ٥٢٣ .

(٢) راجع البحث بأكمله وعنوانه : " The Spirit of Psychology "

بقلم يونج في مجلد بعنوان : " Spirit and Nature " صدر في عام ١٩٥٥ مترجماً عن

المجموعة الألمانية ص ٣٧١ / ٤٤٤ وجوهره يدور حول « النموذج أو المثال الأصلي » .

(٣) عن كتاب « التكوين الروحي وأسرار السلوك » جزء أول ص ١٦٨ .

(٤) التفرد : العملية التى بها يطور الفرد شخصيته الخاصة ليكون فرداً مستقلاً .

يؤدى إلى الإتزان الروحى المطلوب وإلى توسيع دائرة الوعى الإنسانى^(١).
ولقد سلم يونج بظاهرة التخاطر telepathy ويقول عنها : « إن أى
إنسان له أدنى معرفة بمادة الباراسيكولوجى كما هى قائمة الآن بالفعل
، وكما تم تحقيقها بعناية ، سوف يعلم أن ظواهر التخاطر telepathic
phenomena تعبر عن وقائع لا يمكن إنكارها ، وأن الدراسة الموضوعية
الناقدة لعمليات المسح التى تمت بشأنها كفيلة بأن تثبت أن عمليات
الإدراك تحدث كما لو كانت مستقلة فى جانب منها عن المكان ،
وفى جانب منها عن الزمان »^(٢) .

ومن النظريات الهامة التى خلص إليها يونج من اهتماماته الروحية
نظريته فى التزامن. أو التوافق خارج السبب والنتيج^(٣) synchronicity ،
وهى تحاول أن تلقى الضوء على بعض صوز التوافق التى يبدو لها
تسلسل خاص ، لكنها تحدث من وراء قانون العلية المادية المألوفة فى
تسلسل الأحداث الطبيعية .

ولمن يرغب فى المزيد عن كارل يونج يمكنه الرجوع إلى الكتب
الآتية :

(١) عن المرجع السابق ص ٢٦٤ / ٢٦٥ و ٢٩١ و ٣٣٦ - و ٥٢٤ .

(٢) عن مجموعات مؤلفات يونج . الجزء الثامن بعنوان « تكوين وديناميكية الروح » ، " The
Strueture and Dynames of The Psyche " ، ٤١٣ ،
London 1969, P Publishers : Routledge of Kegan
Paul.

Nander Fador : " Between two Worlds " 1964 ` P. 35 / 40 .

Frieda Fordham : " An Lntroduction to Jung's Psychology "

Jolan Jocobi : " The Psyehology of Jung "

وأیضا أحد مؤلفات یونج الرائعة : « الإنسان الحديث يبحث عن
نفس » .

" Modern Man in Search of a Soul "

القسم الثاني

مفهوم الشعور واللاشعور

عند الأقطاب الثلاثة

- العقل الشعوري
- العقل اللاشعوري
- اللاشعور عند فرويد ويونج
- قوة الحياة
- العقل السلالي عند يونج

العقل الشعوري

الشعور هو مجموعة خبرات عقلية فذة للجنس البشرى . بل هو واحد من المعطيات الأولية ، كما أنه لا يمكن أن يخضع للتحليل .. ولوضع فكرة محددة عن الشعور ، يمكن أن يقال إنه معرفة النفس لما تختبره ، وهو الحياة من الداخل ، ودريان الفرد بخبرات معينة وعملية ذاتية تقع بداخله .

ويرى كل من فرويد وآدلر ويونج أن الشعور جزء صغير جداً من الحياة العقلية ، فى حين أن كثيرين من علماء النفس يرون أن الشعور هو كل الحياة العقلية .

ويعرف يونج الشعور بأنه المضمون النفسى بالذات بقدر ما نحس الذات بأن هذا المضمون نفسى ، ويقول أيضا إن الشعور هو النشاط الذى يحقق صلة المضمون النفسى بالذات ، والشعور ليس النفس كلها، إذ أن النفس تمثل المضمون النفسى بأكمله ، وقد يكون بعض هذا المضمون غير متصل بالذات ، أى فى هذه الحالة غير متصل بالآنا الشاعر .

وكان الشعور ، قبل فرويد ، هو موضوع البحث لعلم النفس ، ومنذ عهد فرويد أصبح العقل اللاشعورى بالإضافة إلى ظاهرة الإدراك عن غير طريق الحواس Extra - sensory Perception موضوعاً للبحث المعزز لعلم النفس .

ولقد فسر الفلاسفة وعلماء النفس ، طوال العصور ، السلوك إما

بلغة « الآلية » ^(١) mechanism أى (العلة والمعلول) ، وإما بلغة « النشاط » activity أى (حرية الإرادة) .

وترى « الآلية » السلوك الشعورى كما لو كان كائناً حياً يحكمه ترابط عقلى ، فى حين أن « النشاط » يعتبر السلوك كائناً لا تحدده - بصورة صارمة - كل من الغائية والمصادفة .

والآلية لا تنطوى بداهة على غاية أو نتيجة سبق تصورهما ، فهى لذلك ، ليس لها هدف ، أما النشاط فهو ينطوى على رؤية للعقل هادفة وذات معنى ، ويعتبر العمليات العقلية كائناً له هدف .

وثمة مظهر آخر للآلية ضد رؤية نشاط العقل ، هو نظرية التعلم « بالمحاولة والخطأ » trail - and error ضد نظرية التعلم عن طريق « الإستبصار » insight . ففى تجارب سيكولوجية الحيوان ، حيث يكون للحيوان شىء ما يريد أن يناله ، كحرية مثلاً ، أو موضوع يشتهي ، فإن مدرسة « المحاولة والخطأ » تميل إلى تفسير سلوك الحيوان بأنه « الإصابة حيناً والخطأ حيناً » ، إلى أن يستقر به الأمر أخيراً إلى اختيار خط من النشاط يفضى به إلى إنجاز المهمة بنجاح .

أما مدرسة « الاستبصار » أو مدرسة الجشطالت gestalt ، فهى تلح بإصرار على أن المحاولات المختلفة إنما يقودها ويوجهها الإدراك الفجائى لما ينطوى عليه الموقف من دلالة ، أو معنى ما ، بدون اعتماد على الخبرة السابقة ، ولا على مجرد المحاولة والخطأ ، وإن الاستبصار يظهر

(١) الآلية : هى النظرية التى تفسر العمليات الطبيعية (كالحياة) ، والظواهر السيكلوجية ، بإرجاعها إلى نوايس الفيزياء والكيمياء التى لا تؤثر فيها العوامل الغائية .

فى أثناء التعلم عندما يدرك الشخص طبيعة الموقف على حقيقته بعد فترة ، طويلة أو قصيرة ، من المحاولات الفاشلة ، كما ترى مدرسة الجشطت insightschool أن الاستبصار هو قانون التعلم الأول لدى الإنسان والحيوان على السواء .

ويمكن أن يبحث هذا السلوك ، من ناحية أخرى ، بمقابلة مصطلح الغريزة ضد الذكاء، فالسلوك الذى لا يوجهه استبصار فى الموقف الكلى ، إنما هو سلوك غريزى ، أما النشاط الذى يوجهه استبصار فهو ذكاء .

وما تزال ثمة رؤية أخرى للآلية ضد الإدراك الكلى وما ينطوى عليه من نشاط وقدرة على الملاحظة والمقارنة ، وقدرة على التعميم ، وهذه الرؤية هى : الغريزة ضد الانعكاس reflex

ومن المفهوم قطعاً أن الغريزة تتغير مع الذكاء ، إذ أن ثمة وجوه اختلاف صارخة عند مقابلة الغريزة بالذكاء .. فكل غريزة إنما هى تعبير نفسانى عن نظام فسيولوجى ، وكل غريزة لها ما يضادها فى الفرد نفسه ، فثمة موجب وسالب فى الغريزة ، كما ذهب أنبا دقليس بالنسبة لجميع الأشياء ^(١) .

أما السلوك الغريزى - مجرد المعرفة - فهو سلوك هادف يدفع صاحبه على القيام بعمل معين يرمى إجمالاً إلى إشباع الغرائز وإرضائها . والانعكاسات الطبيعية ، مثلاً ، التى ترتبط بالحدقة ، والقرنية ، والركبة ، والازدرد ، الخ .. لها جميعاً هدف ولها غاية ، أما

(١) أنظر كتاب « مناهج الفلسفة » - ول ديورانت ، ترجمة الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى ، جزء

الانعكاسات المشروطة فهدفها أقل فيما يتعلق بحاجات الكائن الأساسية، حتى ولو كان لها هدفية ثانوية في الوضع الكلى للاشتراط .

الحركة، والزمان، والمكان :

ومذهب العناصر^(١) ضد مذهب التشكيلية « الجشطالت »^(٢) ، مثال هو الآخر للآلية ضد رؤية نشاط الحياة العقلية . ومذهب العناصر من مدارس علم النفس التي تصور النشاط العقلي بلغة العناصر العقلية ، أما مذهب الشكل العام (الجشطالت) فيرى النشاط العقلي بلغة الكليات Wholes ، ولكنها الكليات التي هي أكثر من مجرد مجموع الأجزاء ، والمثال الذي سوف يوضح المدركات الكلية المختلفة للنشاط العقلي ، وتؤيده هاتان المدرستان هو وجهة نظرهما الخاصة عن الحركة .

والحركة إنما هي تغير متصل للوضع في المكان ، وهي اتحاد الزمان والمكان وامتزاجهما معاً ، ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر ، وفقاً لنظرية النسبية ، فالحركة المرئية في فيلم سينمائي إنما هي ناشئة عن « الظاهرة » العجيبة التي تتمثل في المشاهد المعروضة على الجمهور، والتي يمكن ملاحظتها وإدراكها حالما تكون صور الفيلم وخيوط أحداثه متتابعة متلاحقة مترابطة بعضها مع بعض ، يحتوى كل منها على تغير في الحركة طفيف يمكن ملاحظته بسرعة شديدة .

والحركة المرئية التي تنشأ هكذا وعلى هذا النحو ، هي شيء ما لم

(١) مذهب العناصر Elamentarism : هو المذهب الذي يحتم دراسة أى موضوع (مادی أو معنوی كالظواهر العقلية) بتحليله إلى أصوله وعناصره البسيطة .

(٢) نظرية الجشطالت (أو الصيغة أو الشكل) تذهب إلى أن الظواهر النفسية وحدات كلية لها

يعرض على الجمهور كجزء من عناصر الأثر الفني الأصلي . وتحليل
« الحركة » بلغة العناصر يتعين علينا أن نتغاضى عن « الظاهرة »
التي لا يمكن أن تظل بمعزل عن الكل . فهي لذلك ، بحسب نظرية
الجشطلت (أو مذهب الشكل العام) ، ظاهرة فريدة ، فذة ، تستأهل
التقدير .

وعلم نفس النشاط الذى ترسّس على الشعور هو « علم النفس
الفردى » الذى وضع مدرسته العالم النفسى ألفريد أدلر . أما علم نفس
الآلية ، أو الميكانيزم ، الذى ترقد آلياته فى اللاشعور ، فهو النظام الذى
يعمل كآلة ، أو الطريقة التى يعمل بها أى نظام آلى ، وهو النظام
الذى يستخدمه فى الطب النفسى للآليات العقلية كل من فرويد ويونج
، وسنعود إلى كل من هاتين المدرستين فى الفصول التالية .

أما مذهب أدلر فقد قام على نظرية « التعويض ، Compensation
التي طالما أفاض فى الحديث عنها وعن أثرها فى حياة الإنسان . وكان
تصوره الأصلى قائماً على « قصور عضوى » . فلو أن إحدى الكليتين
أو الرئتين أصيبت بضعف أو بخلل وتعطلت عن العمل ، فهذا يؤدى
إلى زيادة النشاط فى الكلية أو الرئة الأخرى لتؤدى بصورة ما وظيفة
الاثنتين ، وذلك تعويضاً عن القصور^(١) .

(1) Adler : " Understanding Human Nature " 1930 - P. 72 - 75 .

ولقد قاده هذا إلى فكرة الشعور بالقصور (القائم على قصور عضوى) ، والتعويض عنه بواسطة العمل أو النفس psyche ويؤكد أدلر على قدرة الفرد على استعادة التوازن فى شخصيته لكى يصل إلى التعويض الكافى عن قصوره .

وكانت الخطوة التالية هى التفكير فى الشعور بالقصور الناشء عن عطب أو تلف فى تأدية الوظيفة السيكولوجية ، والتعويض عنها بوظائف سيكولوجية أخرى مجهدة .

ويرى أدلر أن الفرد ينبغى أن يعيش على هدف بدلاً من أن يقضى حياته بدون هدف ، وعليه أن يتحرك « من ناقص إلى زائد » أى « من سلبية إلى إيجابية » . ويعمل جاهداً للوصول إلى الغاية التى رسمها لنفسه .

وكان هذا هو تطور سيكولوجية أدلر طوال السنين ، بما يصحبه من تغييرات وتبديلات فى مجموعة المصطلحات والتسميات : « المعيشة الاجتماعية » - أى أن معيشة الفرد فى المجتمع وما يستتبع ذلك من نظام ومن قوانين ، تصدر تلقائياً عن الحياة العامة - ينبغى لها أن تكون « هدف الحياة » goal of life . ومن أجل هذه الغاية فإن « الأوهام الموجهة » guiding fictions ، أو أحلام اليقظة القائمة على أسلوب صحى ، يجب أن تكون هى الوسيلة ، والكائن الذى ينطبع فى نفسه « توكيد الرجولة » أو تفوق الذكر الزائد ، و « الكفاح من أجل التفوق » وكلاهما يعتبران أوهاماً موجهة على الجانب غير المجدى من الحياة (ولذلك فهما أعراض عصاب) ، يعتقد أن القوة الدافعة فى الحياة إنما هى « إرادة القوة The will - to - power . وهى عين الفكرة التى

دعا إليها الفيلسوف نيتشه ^(١) . والضمير اليقظ ^(٢) ، لا يعتبر أدلر منبعاً للأخلاق ، ولكنه بالأحرى لا يعدو أن يكون حاجة عصابية ، أما المنابع الحقيقية للأخلاق فهي الاهتمامات الاجتماعية .

مقالات هامة لأدلر:

مهما يكن مالمقيته سيكولوجية أدلر من رفض لتأثير اللاشعور الديناميكي (إذ أنها تعتبر اللاشعور هو « ذلك الذى نفشل فى فهمه فى سلوكنا ») ، فمن الجور والتعسف أن يحجب أدلر عنا رصيذاً هائلاً من المقالات ذات الأهمية البالغة التى قام بإعدادها عن سيكولوجية الإيجو .

غير أنه يقول إن علم النفس الفردى يختلف عن المدارس الأخرى التى تميل فى الغالب إلى التفسير الآلى للنشاط الإنسانى فى أنه يرتبط بمبدأ الكلية ، أى أنه ينظر إلى الكائن فى مجموعة ، ويتبع هذا المبدأ حتى آخر نتائجه ، مؤمناً بأن الغاية تسيطر على الذات البشرية ، فلم يعد يعنى خلال البحث فى تسلسل العمليات الذهنية بالبحث عن مصدرها، بل عن أهدافها .

وهو يرى أيضاً أن علم النفس الفردى لا ينبغى أن يبحث فى عناصر العقل أو النفس فحسب ، بل فى العقل برمته .. وينبغى أن يهتم دائماً بالهدف أو الغاية من كل إحساس أو انفعال ^(٣) .

(١) انظر كتاب « علم النفس الفردى » تأليف اسحق رمزى ، ١٩٤٦ ص ٨٧ - عن دار المعارف

بمصر .

(٢) هو الذات المثلى ، أو « المثل العليا للذات » عند فرويد .

وفى الواقع أن كثيراً من « الآليات الدفاعية » الفرويدية ، تلك الحيل والأعمال البارة التى يقوم العقل بتأديتها ليحمى بها نفسه ، يمكن أن تفهم جيداً بلغة السيكلوجية الأدلرية .

وآخر سيكلوجية عن الشعور ينبغى لنا أن نناقشها هى سيكلوجية « كورت ليفين » ^(١) Kurt Leurin ، وطريقته لفهم الموضوع هى التأكيد على أهمية دراسة العلاقات « البشخصية » ^(٢) الديناميكية فى المحيط الاجتماعى أو البيئة الاجتماعية التى تحيط بنا أو التى نخضع لتأثيرها inter - personal .

ولقد قامت بدراسة هذا الوجه من السلوك مدرسة من مدارس الفكر يطلق عليها « السوسيومتري Sociometry ، وهى تهتم بقطاعات إقليمية من مكان الحياة السيكلوجى . كما تهتم أيضاً بدراسة العلاقات الشخصية بين أفراد المجتمع وقياسها ، وتعرف هذه الدراسة باسم « علم النفس الطوبولوجى » topology . ولأن هذه الدراسة تفيد فى العلاقات المكانية اللامتري للطوبولوجيا ، فهى تعتبر فرعاً من الرياضيات يعنى بدراسة موقع الشئ بالنسبة إلى الأشياء الأخرى (لا بالمسافة ولا بالحجم) .

وأقل تصور تجريدى لسيكلوجية ليفين بالنسبة لإنسان يواجه

(١) كورت ليفين (١٨٩١ - ١٩٤٧) من أبرز علماء النفس فى العصر الحديث ، أنشأ مدرسة تنظر إلى الحقائق السيكلوجية نظرة تكاملية ديناميكية ، ومن أهم مؤلفاته : « مبادئ فى علم النفس الطوبولوجى » و « مبادئ علم النفس الديناميكي » .

(٢) البشخصية : خاص بالعلاقات بين الأشخاص .

الفيزياء ، هو النظر إليها باعتبارها « مجالات قوة » force fields of . واعتبر ليفين هذه العلاقات البشخصية قوى عقلية فأطلق عليها « الدينامينفسية » psycho - dynamies ، وذلك لعلاقتها بالقوى أو العمليات العقلية أو العاطفية الناشئة بخاصة فى فجر الطفولة ، وبأثرها فى السلوك والأوضاع العقلية .

ويقرر ليفين أن « الجهاز المتوتر » tension system إنما هو فى الحقيقة واجب ناقص لم يتم إنجازه ، ويتطلب عملاً ملحقاً عاجلاً للغاية ، فهو لذلك يشكل جهازاً متوتراً أكثر دينامية .

ويمكن أن يكون ثمة عدد لا يحصى من الأجهزة المتوترة التى تؤثر على الفرد فى أية لحظة من لحظات الزمن ، أو أى مرحلة فى تطور الأحداث ، تتقاطع إحداها مع الأخرى فى أى جهة وفى أى اتجاه ، وذلك نفس ما يقوله علماء الفيزياء من أنه يمكن أن تكون هناك حياة على الكواكب الأخرى لأنواع تمت إلينا بصلة القربى ، وتتمتع بذكاء كذكائنا يمكنها - على الأقل - من أن تدرك معجزات الخليقة ، غير أننا عن تلك الحقيقة غافلون !!

وأجهزة ليفين المتوترة إنما هى أجهزة دينامية ، ولكن لا ينطبق عليها معنى الطراز الفرويدى عن الدينامية اللاشعورية ، ومع ذلك لم يستطع ليفين تقديم الدوافع التى ترمى إلى تحقيق غرض الطبيعة الدينامية لتلك التوترات ، بيد أن لا شعوراً دينامياً واحداً لا يستطيع أن يحفز مثل تلك التوترات ، وينبغى لنا أن نذكر أن ديناميات أدلر عن « التحرك من الناقص إلى الزائد » و « النجاح من أجل التفوق » لا تقدم هى الأخرى حافزاً حقيقياً لمثل تلك الديناميات .

ومن هنا ، وعلى ضوء ما تقدم ، يعتبر كل من ليفين وأدلر
من علماء النفس الشعوري . وفي الواقع أن نظرية ليفين عن
« الدينامنفسية » قد أضفت على علم النفس الفردي الخاص بأدلر
وصفاً مضيئاً ، وأمدته بتحديد عقلي دينامي دقيق .

العقل اللاشعوري

كثير من الناس ، وبالأخص أولئك الذين يهتمون بدراسة علم النفس ، يجدون صعوبة شديدة فيما يتعلق بالمصطلحات المستخدمة فيه ، ذلك أن بعض الكلمات قد يكون غامضاً غير مألوف لديهم .

وليس القارئ العادي وحده هو الذى يشكو هذه الصعوبة ، بل إن كثيراً من هذه الألفاظ من الغموض بحيث يتعذر على مبتدئ أن يعتمد عليها ، ولا يحاول علماء النفس الذين يستخدمون هذه الألفاظ أن يوضحوها فى كل الأوقات ، ومن أمثلة ذلك : كلمة « الشعور » Unconscious ؛ وكلمة « اللاشعور » Suleonsconscious ؛ وكلمة « ما قبل الشعور » Preconscious .

وقد تكون هذه المصطلحات مألوفة لديهم ، ولكن ينتمض عليهم تحديد التعريف الصحيح لتلك المصطلحات ، أو يلتبس عليهم معناها ، ولعل هذه الحيرة قد نشأت من سببين : السبب الأول هو البادئة "U" التى نعى بها : « دون أو أدنى أو تحت » لتعبر باختصار عن شعور سوى يقع تحت الوعى ؛ والسبب الآخر هو أن المصطلحات الفنية الصحيحة فى علم النفس قد بلغت من التعقيد والغموض درجة كبيرة ترجع إلى عدم توحيد هذه المصطلحات بدلاً من إصرار علماء النفس على استعمال كلمات مختلفة لشيء واحد .

وعلم النفس ، فى الواقع ، بسيط جداً ومن السهل استعماله

(١) الأداة التى توضع تحت كلمة أخرى لتغيير معناها أو لتكوين كلمة جديدة .

وتطبيقه فى الحياة العامة . غير أن تعدد طرق البحث ، وميادينه وتعدد وجهات النظر ، وتعدد المبادئ التى تفسر الظواهر النفسية ، وكذلك الأسس الفلسفية التى تقوم عليها هذه المبادئ ، التى تبحث فى مدارس علم النفس الرئيسية المعاصرة ، قد يكون كله مما يؤثر على القارىء فيجعله يرى علم النفس فى حالة يرثى لها ، إن لم ينكره إنكاراً تاماً ، ذلك أن مثل هذا الخلط ، ومثل هذا التعارض لا يوجدان فى أى علم آخر من العلوم الطبيعية ، فلكل علم من هذه العلوم الطبيعية - كالكيمياء ، والنبات ، والطبيعة ، ووظائف الأعضاء وغيرها - مبادئه المتفق عليها فى تفسير ظواهره ، كما أن كل علم منها قد رتبت حقائقه الأولى فى كتلة متماسكة من المعلومات ، لا يناقشها أحد، ولكن الأمر يبدو على خلاف هذا فيما يتعلق بعلم النفس ، ذلك أن علماءه لم يتفقوا اتفاقاً تاماً ، حتى على ميدانه ، أو تعريفه ، أو منهجه .

ومع ذلك فإننا إذا راجعنا موقف علم النفس فى الوقت الحاضر ، يتضح لنا مقدار ضخامة الأبحاث التى أجريت ، والتى لا تزال تجرى فى ميادينه المختلفة ، وبالرغم من التنافس والاستقلال الظاهرى لكل مذهب من المذاهب السيكلوجية ، إلا أن بينها فى الواقع اتفاقاً كبيراً قد لا يبدو لمن يدرسها دراسة سطحية ، وقد يكون أسوأ مظهر فى موقف علم النفس اليوم ، هو عزلة كل مذهب من هذه المذاهب عزلة يصعب أن نعرف السبب الذى أدى بها إلى هذا الحد ، مادام كل منها يستطيع أن يقوم بشئ ذى قيمة فى سبيل إقامة علم كامل موحد ^(١) .

(١) أنظر كتاب " Psycholog : The Lhanging Qutlook " تأليف فرنسيس إيفلنج ،

وقام بترجمته إلى العربية الأستاذان محمد عماد الدين إسماعيل وعطية محمود هنا ، بعنوان «

ويعترف عالم اليوم بما أداه علم النفس من معونة جليلة وخدمة جُلِيّ في معترك الحياة ، ويقدر المكانة التي شغلها علماء النفس في كل ميدان من ميادين الحياة تقديراً يكافئ ما بذلوا من جهود لا تقدر بثمن .

غير أن تقدم علم النفس في العصور الحديثة ، واتساع آفاقه ، وتعدد معاملته ، قد جعل منه أداة ذات شأن في جميع المجالات ، بعد أن كان مجرد تجارب بسيطة محدودة المجال .

وفي محاولة علماء السيكولوجيا من أمثال فرويد وآدلر ويونج على اختلاف مذاهبهم - مساعدة الأفراد الذين ساء تكيفهم ، نرى عندهم كثيراً من الآراء المشتركة ، لأنهم جميعاً يرمون من وراء ذلك تنبيه أولئك الأفراد التعساء إلى عوامل في شخصياتهم لا يعرفون عنها شيئاً .

واللاشعور هو أوسع ميدان لعلم النفس ، وهو الأساس الذي تقوم عليه مدارس التحليل النفسي الثلاث : مدرسة التحليل النفسي (فرويد) ؛ ومدرسة علم النفس الفردى (آدلر) ؛ ومدرسة علم النفس التحليلي (يونج) .

أطوار العقل :

ولكى نستفيد من استعمال « اللاشعور » و « العقل اللاشعورى » يجب علينا أن نعرف بالضبط ما هو « العقل الشعورى » .

والعقل يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أطوار بدلاً من اثنين هي : العقل الموضوعى ، أو الواعى ، أو المدرك ؛ والعقل الذاتى ، أو العقل الحالم ؛ والعقل اللاشعورى ، وينقسم إلى عنصرين : العقل التحتشعورى ،

والعقل الأسمى . وهذا الثانى هو الجانب المبدع ، الخلاق ، الذى يعتبر الآن مصدر الإلهام ومنبع الحكمة ، والذى يفسر أعمال التضحية والفداء وإنكار الذات ، والبطولة الفريدة ، وغير ذلك من أعمال الحكمة فى الإنسان .

أما العقل التحتشعورى أو الدوشعورى ، فهو منطقة جديدة فى الإنسان وقف عليها علم النفس الحديث وأطلق عليها وصف « العقل الفوق الواعى » Super Lonscious ويسمى فى بعض الأحيان « بالعقل اللاشعورى » ، ويطلق عليه أحيانا عقل الشعور الأعلى ، أو عقل الشعور الأرقى ، وإن هى إلا أسماء لمسمى واحد ، ويقصد بهذا كله ، المنطقة من العقل الواقعة عند مؤخرة عقل التمييز والإدراك والاستنتاج والاستدلاك .

والعقل « التحت شعورى » هو مستودع تجارب الماضى ، وهو الذى يحافظ على النوع فى الإنسان وترتبط به انفعالات الغرائز بوجه عام بما فى ذلك الانفعالات الجنسية والمتصلة بغزيرة البحث عن الطعام وكل ما يلزم لضمان بقاء النوع ^(١) .

وعلى نقيض العقل الباطن أو غير الواعى أو اللاشعورى الذى يمثل التيارات المغمورة لطبيعتنا ، فإن العقل فوق الواعى يكشف ضروب السموات التى يمكن لطبيعتنا بلوغها ، والإنسان يتمثل فى شخصية ثلاثية لاثنائية فحسب ، فكياننا الواعى وتحت الواعى يتوجهما وعى سام ، ينبغى التمييز بينه وبين العقل اللاشعورى حتى وإن كان

(١) أنظر كتابنا « العقل منبع الحكمة » دار الفكر العربى ١٩٧٨ من ٥٣/٥٢ .

كلاهما يقع فى منطقة اللاشعور^(١) .

ومن المفيد أن نعتبر هذه الأطوار من العقل بمثابة أساليب أو علامات مميزة للتفكير ، وأن نعرف أن هناك تفكيراً شعورياً هو الأسلوب الاعتيادى للاستدلال المنطقى Reasoning الذى يستعمله الشخص العادى فى أكثر الأحيان .

والعقل الشعورى هو ذلك العقل الذى نستخدم عن طريقه حواسنا الخمس ، ونستخدمه فى تكوين آرائنا ، وتقديراتنا ، وفى مناقشاتنا ، وهو صاحب الهيمنة العادية على الإرادة ، ويمارس النشاط الاستدلالى والاستقرائى ، ويعمل دائماً عن طريق المخ .

التفكير الأسمى :

والعقل الشعورى أو العقل الواعى لا يلقى أضواءه إلا على مساحة صغيرة ، لكن أمامه الأرض الواسعة التى للوعى الأسمى التى عليه أن يغزوها ولو عن طريق مجهودات مؤلمة . وعن طريق هذا الوعى الأسمى قد تأتى أحيانا فترات من النشاط الأسمى ، لكنها فترات نادرة جداً وعابرة ، تومض لحظة وتزول بسرعة خاطفة ، إذا لم يكن العقل متدرباً عليها ، أو إذا لم يكن الشخص على درجة عالية من النبوغ والذكاء .

إن التفكير الأسمى ليس مجرد كلمات أو تصورات وإنما هو عبارة عن أفكار تأتى فى ومضات من النور - ومضات من الاستنارة العقلية والروحية والفهم والإدراك ، وحيناً تجدد هذه الومضات تأييداً وتعزيراً بأسباب الحياة فسوف نتلقى شيئاً ما يسمو فوق الوجود المادى

(١) عن كتاب « التفكير الروحى وأسرار السلوك » للدكتور رؤوف عبید ، ص ١١٨٤ .

ويتفوق على الفكر ونغدو في حالة من حالات السمو الروحي ، ونصل إلى مرتبة الفلاسفة الكبار ، والمتصوفة المتعبدين ، والفنانين الملهمين ..

وثمة أشخاص عديدون ليس بمقدورهم أن يعرفوا شيئاً عن تلك الإمكانيات الوظيفية الخاملة فيهم ، ويظنون أن الشعور الأسمى مقصور على أفراد قليلين غيرهم ، وأن إمكانياتهم لا تسمح لهم باختيار ما يدون - أى أن بنيتهم الجسدية والعقلية والخلقية التى ورثوها عن آبائهم لا تتفق مع الشعور الأسمى - ولذلك فإن تلك الومضات الخاطفة لا تجدى معهم شيئاً ، ولا نتحدث فيهم أى أثر البتة .

وأذا أخذنا هذه النقطة الأخيرة بعين الاعتبار لانتمالك أنفسنا من الدهشة حينما نرى أن هناك أناساً من ذوى العقول المنطقية المتطورة يتجاهلون قياداتهم البديهية ، ولا يعلمون الحقيقة التى تؤكد أن العقل التحتشعورى هو نفسه العقل السلالى الذى تختزن به الخبرة المتبلورة والحكمة لجميع المخلوقات البشرية منذ بدء الخليقة ، فى كل وقت ، وفى كل زمان ، لأن العقل السلالى خالد خلود الزمن ، باقى بقاء الأزل .. ومن هذا الطور العميق من العقل التحتشعورى حيث نستمد السوء الذى ندعوه « بديهية » نعرف الكثير من الأشياء بدون تعلم ، إننا نسميها فى الحيوان « غريزة » ولكنها فى الوقت نفسه كالبديهية ^(١) .

والتفكير قوة حقيقية فعالة ، باعثة على النشاط والهمه ، وهو أعظم وأحذق صورة للطاقة ، بل هو طاقة الحياة ذاتها .. الطاقة فى أصفى وأنقى صورها ، وأما « الدينامو » أو الجهاز العظيم لهذه الطاقة

(١) عن كتاب « العقل منبع الحكمة » للمؤلف - صفحة ٦٤ .

الجبارة فهو المخ البشرى .

هذا هو الكشف العظيم الذى اهتدى إليه الإنسان من قديم ، ويمكن القول بأنه أعظم كشف على الإطلاق فى جميع الأزمان .. فالناس إنما يتمثلون الشكل أو الصورة ، ويتصورون الشئ بهيئته المكتملة بعقولهم ، وتفكيرهم المركز ، مع جهدهم وسعيهم ، هو الذى يأتى بهذه الأشكال والصور ، ويحولها إلى مظاهر مادية على السطح الفيزيقي .

وليس من شئ أجلّ شأنًا ولا أعظم قوة من التفكير . وما من شئ فى الدنيا إلا كان التفكير منبعه ، فسيمفونيات بيتهوفن التى كان يكتبها بعجلة وبدون عناية فى مفكراته التى كان يحملها معه أينما ذهب ؛ وأحسن ألحان شوبرت التى كتبها على ظهر قائمة الطعام فى أحد المطاعم حينما كان يتناول الطعام مع بعض أصدقائه ؛ وما قام به أعظم المفكرين - أمثال باستير وأديسون وجين آدمس ، وغيرهم .. كل ذلك كان موجوداً فى عقل الإنسان .

مستودع الذاكرة :

والعقل التحت شعورى هو مخزن الذاكرة ، ونحن لانحمل ولايمكننا أن نحمل فى كل الأوقات فى عقولنا الشعورية ذكريات ما مرّ بنا من حوادث الحياة وتجاربها ، فحوادث الحياة وتجاربها إنما تمر من خلال العقل الشعورى فى مجرى دائم ، فى الغالب ، من الإدراك والمعرفة ، ويتدفق هذا المجرى فى مستودع الذاكرة بالعقل التحت شعورى ، دون أن يضيع أو ييخر من المجرى شئ البتة .

وفى مستودع الذاكرة سجلات كاملة ودقيقة عن الأشياء التى صادفتنا فى حياتنا ، أو التى أدركناها وخبرناها ، أو التى درسناها وتعلمناها ، وفيه أيضا الحلول الكاملة للمسائل الرياضية التى حللناها فى أيام الدراسة ، وثبت بالحرف الواحد لجميع المحاضرات والمساجلات التى استمعنا إليها أو تناقشنا فيها . هذه الأشياء كلها ، وكثير جداً غيرها مخزونة فى قسم الذاكرة بالعقل التحت شعورى . ويمكن أن تترد أحدها أو كلها - تحت تأثير منبهات ملائمة - إلى العقل الشعورى ^(١) .

ومن الحقائق الملموسة التى يجدر بنا أن نعرفها ونتفهمها هى أن فى العقل التحت شعورى مخزناً كبيراً من الحكمة التى يحتاج إليها الفرد ، ويتمناها لكى يجعل حياته كما يود أن تكون . والشخص الذى يشرع فوراً بإخلاص وأمانة فى معرفة نفسه واستعمال كل وسائله العقلية ، وموارده الذهنية ، لا يلبث أن يفيد فائدة كبيرة من هذا المخزن مخزن الحكمة الذاتية ، ولكنها ليست معصومة ولا منزهة عن الخطأ كحكمة العقل الشعورى الحقيقى .

وإذا كان الشخص ممن يؤمنون « بالعودة للتجسد » ^(٢) Reinernation فسوف يدرك أن العقل التحت شعورى يختزن أيضا الذكريات والخبرات الماضية للحياة السابقة ، وحكمة الأجيال . ويمكن أن نقول إن العقل التحت شعورى هو :

(١) مستودع الخبرات ؛

(١) المرجع السابق ص ٦٣ .

(٢) المنبع أو المصدر لذلك السلاح الخطير ، الجبار ، القوى ،
المبدع : الخيال ؛

(٣) العقل المسيطر الكامن فينا ، العالمى فى مجاله على الأقل ،
لأنه يعمل على تنفيذ نفس الوظائف التى من شأنها القيام بعمليات
البناء والإدارة فى جميع الأجزاء البشرية ، بصرف النظر عن السلالة ، أو
الإقامة أو المستويات الثقافية .. وهو أيضا نوع من أنواع الإذاعات
المنتشرة فى أنحاء العالم ، والتى تستنغمها وتنسجم معها جميع الأجسام
البشرية ؛

(٤) مدخل للظواهر الخارقة للطبيعة والخارجة عن نطاق نوااميس
الفيزياء المعروفة psychie phenomena . والنقطة الأخيرة تحتاج إلى
إيضاح ..

إن العقل اللاشعورى عند الفرد - حسب نظرية يونج - مرتبط
وموصول بعقول لاشعورية لأناس آخرين . ومعنى ذلك أن هناك لاشعوراً
عالمياً عاماً Universal Suleonsconscious بدليل وجود ظاهرة التخاطر أو
التلبائى telepathy .

والتخاطر هو تلك القدرة على معرفة ما قد يجول بداخل وعى
إنسان ما من أفكار ومشاعر ، وإيصال التأثيرات على اختلاف أنواعها من
عقل إلى عقل آخر عن غير طريق الحواس المعروفة ، وهذه القدرة
الغريبة قد سلم بها تماماً العلم المعاصر ، وفيها يقول كارل يونج : « إن
أى إنسان له أدنى معرفة بمادة الباراسيكولوجى كما هى قائمة الآن
بالفعل ، وكما تم تحقيقها بعناية ، سوف يعلم أن ظواهر

التخاطر telepathie phenomena تعبر عن وقائع لا يمكن إنكارها .

ويحدث التخاطر أو الاتصال العقلي بين عقليين أحدهما « محطة إذاعة » ، والآخر « محطة استقبال » . وقد تكون المحطتان متقاربتين أو متباعدتين تفصل بينهما البحار والمحيطات . ومع ذلك فليس البعد عائقاً عن هذا الاتصال العقلي ، لأنه يتم بطريقة باطنية تعجز الحواس العادية عن القيام بها ^(١) .

الذاكرة ، الخيال ، الإيحاء الذاتي :

هناك ثلاث خطط عامة لإنماء إمكانيات العقل اللاشعوري وتطويرها واستخدامها والانتفاع بها هي :

الخطوة الأولى : تنمية الذاكرة وترقيتها : في المساء من كل يوم ، عندما نأوى إلى فراشنا ، لاندع الصور الذهنية لأحداث اليوم الذي مرر بنا أن نزول أو تتلاشى بسرعة من مخيلتنا ، ولكن إذا استعرضناها بتسلسل وسياق منطقي ، فإن تلك الأحداث لا تدخل الذاكرة بشكل مشوه ، ويمكن بكل سهولة أن تستدعى عند الطلب .

الخطوة الثانية : فائدة الخيال ؛ صُور الأشياء غير منظورة لعقلك في رسوم . ويمكنك أن تطبع في اللاشعور رسماً بأكثر سهولة من فكرة مختلصة . ازرع المقدرة على التصور ، أي المقدرة على إتيان صور عقلية واضحة وعيناك مغلقتان . شاهد نفسك كاملاً ، فاعلا الشيء العظيم الذي تتمنى أن تفعله ، وأنت إذا استطعت أن تتخيل أنك يمكن أن

(١) عن « الروح والخلود بين العلم والفلسفة » للمؤلف - دار المعارف ص ١١٤ ، وانظر أيضاً

كتاب « التكوين الروحي » ص ٦٤١ .

تفعل شيئاً وتنجزه ، وأن تصور نفسك لعقلك أنك منتصر في موقف معين ، سيكون النصر حليفك بإذن الله .

الخطبة الثالثة : الإحياء الذاتى - لقد برهنت البحوث القاطعة التى قام بها كبار علماء النفس من أمثال إميل كويه Loue والسير الكسندر كانون Alexander Lannon على أن الإحياء الذاتى يمكن بوساطته الوصول إلى الحالات العقلية والروحية كالوصول إليها بوساطة التعيين أو التحديد والإصرار الذى تصحبه إرادة قوية . فبقوة الإرادة تندفع الفكرة أو الرأى فى العقل اللاشعورى الذى يعمل وفقاً للأوامر التى يتلقاها ، وبالإحياء الذاتى يقتنع الجسم والعقل معاً بأن يعمل حسب الفكرة ، والنتيجة فى كلتا الحالتين واحدة .

ويؤكد البروفيسور إميل كويه - أستاذ الإحياء الذاتى - أنه حتى الأمراض العضوية يمكن علاجها بفعل العقل اللاشعورى باتباع طريقته الخاصة فى الإحياء . ومن الوثائق والبراهين التى أمامنا الآن يبدو وأنه على حق .

والإحياء الذاتى يمكن تعريفه بأنه « غرس فكرة معينة فى المرء بواسطته شخصياً ، سواء على مستوى شعورى أو لاشعورى أو تحت شعورى » . ونحن إذا أقنعنا أنفسنا بأننا نستطيع عمل شئ ، فإننا نعمله مهما كان صعباً على شرط أن يكون ممكناً . وبالعكس إذا تصورنا أننا لا نستطيع عمل هذا الشئ فإننا لا يمكن أن نعمله مهما كان سهلاً بسيطاً ^(١) .

(١) عن كتاب « نحو حياة جديدة » للمؤلف ص ٣٤ / ١٧ ، دار المعارف .

هناك شيئان ضروريان للنجاح فى ممارسة الإحياء الذاتى هما :
الإيمان بتأثيره ومفعوله ؛ والمقدرة على خلق صور عقلية .

ويؤكد الأستاذ كويه أن القاعدة العامة التى وصفها فى جملته المشهورة : « فى كل يوم ، وفى كل الأحوال ، أنا فى تقدم مستمر » ، فيها الكفاية لتحسين حال الشخص جسمياً وعقلياً وروحياً ، على أن يؤكد فى ذهنه عبارة « فى كل الأحوال » لأنها تشمل حاجات الإنسان المادية والمعنوية .

ولكى نفهم أهمية الإحياء الذاتى ، يكفى أن نعرف أن العقل اللاشعورى هو المنظم الأعظم لحركات جميع الأعضاء ، فإذا اختل سير عضو منها ، وغرسنا الاعتقاد بأنه سيقوم بوظيفته حالاً ، انتقل هذا الأمر إلى العضو ، فيطيعه صاغراً ، ويؤدى عمله إما فى الحال وإما شيئاً فشيئاً .

والعقل اللاشعورى سهل الانقياد ، يتقبل فى خضوع وتسليم كل فكرة تقدم له ، ويحولها إلى إحياء ذاتى يعمل فى المرء عمله بدون أن يشعر .

وعلىنا أن لا نفكر مطلقاً فى أن الإحياء يحدث أثره أ لا يحدث . بل ندع عقلنا اللاشعورى يؤدى عمله فى سكونه ، وسوف نرى الآثار واضحة فى الوقت المناسب .

مفهوم اللاشعور:

عند فرويد ويونج

من الشائع عند عامة الناس أن اللاشعور يقترب باسم سيجموند فرويد ، ولكن ، مع أن فرويد هو الذى أثرى حياتنا العملية ومعرفتنا الإنسانية بتلك المنطقة المجهولة والغامضة من العقل ، غير أنه ، برغم ذلك ، لم يكن هو الذى استكشف اللاشعور ، ولقد كانت «لإدراكات الحسية الضعيفة» محاولة سابقة لأوانها من ليبينز^(١) nizLeil لوضع صيغة لنظرية اللاشعور^(٢) .

ولقد تأثر الفيلسوف الألماني « هربارت » (١٧٧٦ - ١٨١٤) بالعالم ليبينز بمفهومه عن الدرجة الثالثة من الشعور ، حيث تمتنع الميول والأفكار الكامنة فى اللاشعور من الظهور فى حيز الشعور ، والعقل وحده هو الذى ينطوى على جميع الأفكار التى تخطر ببال الإنسان عن طريق الحواس .. والأفكار إنما هى قوى متحركة فعالة ، سواء فى اتحادها أو فى تعارضها ، ويجب الاستعانة بالأفكار القديمة لإدراك الأفكار الجديدة .

ومن ناحية أخرى ، أكد لنا الفيلسوف الإنجليزى « جون ستيوارت مل » (١٨٠٦ - ١٨٧٣) أنه « حينما يكون ثمة عدد من الأفكار

(١) ليبينز : ولد فى أول يوليه ١٦٤٦ فى مدينة ليبزج بألمانيا وتوفى فى ١٤ نوفمبر عام ١٧١٦ ، وكان عالماً بكل العلوم ، وبعد دائرة معارف لا يضارعه فيها إلا أرسطو ، كما أن مؤلفاته كثيرة بيد أن أهمها هى : « البحث الجديد فى العقل البشرى » ، ظهر سنة ١٧٠٤ ؛ و « الإنسان ومصدر الشر » سنة ١٧١٠ ؛ و « نظرية الجواهر الروحية » ، طبع عام ١٧١٤ .

(٢) " Monodologie " ، نظرية الجواهر الروحية ، P. 14 .

يستدعى أحدها الآخر عن طريق التداعي بثقة و يقين وبسرعة ، للالتحام معاً فى مجموعة واحدة ، فإن جميع أعضاء تلك المجموعة - التى تظل طويلاً مفككة بدون رعاية أو اهتمام - تميل للكف عن الاشتراك العملى فى الشعور .

وتلقينا عن ستيوارت مل أيضاً : « إن جميع أفكارنا وإحساساتنا قابلة للتشارك إذا كانت من نوع واحد . فقانون التشارك أو تداعى المعانى ، هو أساس الظواهر الباطنة .

وكذلك الفيلسوف « هوفدنج » Hoffding يؤكد هو الآخر فى « موجزه » على أهمية اللاشعور .

والعمل الرائد الذى قام به فرويد فى تخطيطه للاشعور لم يكن رمزاً لهؤلاء المفكرين فحسب ، وإنما كان - بدون ريب - دلالة على تأثيره بهم ، أما التأثير الفلسفى العظيم فقد جاء من شوبنهاور .

ومن أعظم الأعمال التى تأثر بها فرويد كتاب « فلسفة اللاشعور » الذى وضعه الفيلسوف الألمانى إدوارد فون هارتمان (١٨٤٢ - ١٩٠٦) ، ومن تأثر بهم فرويد تأثيراً علمياً : شاركو ، والمدرسة الفرنسية لعلم النفس المرضى .

ويحتوى اللاشعور الفرويدى على العناصر الدينامية فى الشخصية ، ولعملياته طابع يختلف عن تلك العمليات الخاصة بالشعور ، ويجدر بنا هنا أن ندرك أن « ما تحت الشعور » يتميز بأنه شعور بمعنى ما ، إذ أن عملياته تشبه فى طبيعتها تلك العمليات الخاصة بالشعور .

أما « الإد » أو « الهو » id ، فهو غير شعورى ، وهو غريزى ،

يحتوى على الميول والرغبات الفطرية . وهو المستودع اللاشعورى العميق من النفس ، والذي يضم الدوافع الغريزية ولا يطلب سوى الإشباع المباشر لمتطلباتها ، أى أنه يؤدى عمله وفقا « مبدأ اللذة » .

وأما « الإيجو » أو « الأنا » ego ، فهو الجانب الشعورى من الشخصية ، ماعدا ذلك الجزء الذى يكمن وراءه مباشرة ويطلق عليه « ما قبل الشعور » preconscious . وهو يحتوى على العديد من العمليات الذهنية والمعلومات التى سبق لنا أن حصلناها ، والذكريات الكامنة التى يمكن أن تصبح شعورية عند اللزوم .

و « المثل العليا للذات » ideal - ego ، هى المظهر الشعورى للأخلاق أو الضمير ، ولذا فهى - بالتحديد - شعورية . و « الأنا الأعلى » super - ego هو المظهر أو الجانب اللاشعورى للضمير ووظيفة الأنا الأعلى اللاشعورى هى أنه يقصى عن الشعور تلك الأفكار والأحاسيس الموجودة فى الشعور والتى لا يقبلها ولا يقرها الأنا الأعلى ، وهذه هى المثل العليا للذات ، ويحدث هذا الإقصاء عن طريق « الكبت » أو الانصراف والابتعاد عن الشعور ، ولكن هذا قد يؤدى إلى صراع بسبب الطبيعة الديناميكية للمادة النفسية المرفوضة .

ولقد أشرنا من قبل إلى أن « الإد » هو المستودع الغريزى الذى يحتوى على جميع الغرائز الفطرية فى الكائن الحى ، والغرائز إنما هى نماذج فطرية للسلوك ، الذى يهدف إلى إرضاء الحاجات الفطرية للكائن الحى ، وتختلف مدارس الفكر المختلفة فى عدد الغرائز ، فقد نسب مكدوجل السلوك إلى أربع عشر غريزة منها : غريزة الجوع ، وغريزة القيادة ، والغريزة الوالدية ، وغريزة حفظ الذات ، والغريزة

أما فرويد فقد جمع الغرائز على اختلاف أنواعها في غريزتين اثنتين أساسيتين هما : « الإيروس »^(١) EROS ، وهى الغريزة الجنسية أو غريزة الحياة ؛ و « الثناتوس » THANATOS ، وهى غريزة التدمير أو الموت . ولقد أكد فرويد - بالإضافة إلى ذلك - على ضرورة وجود عدد من الغرائز المؤلفة أو المكوّنة ، يتضمن : السادية (شعور الفرد باللذة من تعذيب الغير أو إيذائه) ؛ والمازوكية (لذة تألم الفرد بالتعذيب ينزله به الآخرون) .

وهنا يبرز السؤال عن : كيف أن كل « إِد » فردى عنده القدرة على إشباع حاجاته ورغباته الفطرية ، وعلى الرغم من أن « الإِد » غير شعورى ، فإن النشاط الضروى غريزى أى غير مكتسب بالخبرة ؟

إن فرويد يعتبر تجربة « الإِد » الفردى الواحد كائناً شقاً طريقه فى بروتوبلازما الخلايا الجرثومية الناقلة للوراثة . وذلك بالإضافة إلى مظاهر « الإِد » التكوينية (أى النشوء أو التطور الفردى) حيث تكون الغرائز خاضعة لتحويلات مختلفة فى خلال حياة الفرد . ويرى فرويد أيضاً أن « الإِد » يجب أن يكون خاضعاً لتغييرات نشئية (سلالية) ، فكل جيل يعقبه جيل آخر ، وكل ذرية تخلفها ذرية أخرى .

ويبدو أن التجارب التى قام مكدوجال بإجرائها على ٢٣ ذرية من الفئران ، تؤكد الطبيعة المهيأة للإِد فى مظاهرها النشئية ، ولقد تحقق

(١) الإيروس : يرمز به إلى الحياة والحب (وإيروس هو إله الحب عند قدامى اليونان) وقد أطلقه فرويد على غريزة الحب .

بطبيعة الحال ، من أن هذه النظرية إنما هي فكرة « لا ماركية »^(١) .
ولذا فهي تقوم على نحو مضاد لكل الفكر البيولوجى فى وقتنا الحاضر ،
إذ أنه يتضمن وجود ذاكرة سلالية ، ومن ناحية أخرى ، فإن الفرد
يستطيع - فى حدود المظاهر النشئية للهو - أن يقدر اللاشعور الجمعى
للفيلسوف يونج حق قدره ، وهذا موضوع لا يفوتنا أن نلم به بإيجاز .

ولقد سبق أن أشرنا أيضا إلى أن « الذات العليا » أو « الأنا
الأعلى » غير شعورى هو الآخر . وينشأ من أربعة مصادر رئيسية : أول
هذه المصادر هو « المثل العليا للذات » ، وهذه تتكون بالتخيل لتعويض
نقص « الذات الحقيقية » ، وتنتج « النرجسية الثانوية » ma- seeondory
reissism نحو المثل العليا للذات (حب الفرد الموجه إلى مثله الأعلى) ،
واتجاه اللبىدو والنرجسى هذا إلى المثل العليا للذات هو المصدر الأول
للأنا الأعلى .

والمصدر الثانى : هو عملية « الاستدماج » intrjection التى يتم
عن طريقها اندماج جزء من البيئة فى عقل الطفل بطريقة لا واعية
حينما يكون فى سن الخامسة من عمره على وجه التقريب . وحيث أن
هذا الجزء من العالم الخارجى يعتبر عنده بمثابة موضوع ، فهو يغدو ،
بناء على ذلك ، جزءاً من الإيجو . والمقاييس الخلقية عند أولئك

(١) اللامركية : مذهب العالم الفرنسى لامارك (١٧٤٤ - ١٨٢٩) فى التطور العضوى ، وهو
يؤكد على أن التغيرات البيئية تحدث فى الحيوانات والنباتات تغيرات بيئية تنتقل إلى الذرية .
ولا مارك يؤمن بالصفات المميزة (الخصيصات) المكتسبة بالتجربة فى فترة حياة الفرد ومقدرة
الكائن الحى لأن يلائم بين نفسه وعاداته وتركيب جسمه من جهة ، وظروف البيئة التى سيجد
نفسه فيها من جهة أخرى .

يملكون سلطة توحى بالاحترام وتدعو إلى الشقة ، وبخاصة سلطة الوالدين ، إنما يقتبسها الطفل ويدمجها في نفسه بحيث تصبح مبدءاً عادياً ، وتعتبر تلك المقاييس جزءاً من البناء أو التركيب النفسى الداخلى الدائم عند الطفل نتيجة تقمص الطفل لسلطة والديه ، وكذلك رقيب الأخلاق بماله من سلطة شرعية سيظل موجوداً « كطبيعة ثانية مكتسبة » لدى الفرد حيث تكون بمثابة صفة من صفات الإيجو بقية حياته .

والمصدر الثالث : هو « العدوان الموجّه نحو الذات » . فإن الأشياء المحبطة فى العالم الخارجى كالفضل ، والخيبة ، والحرمان ، قد تكون هى الدافع الحقيقى وراء العدوان ، إذ أن الطفل ضعيف جداً لا يستطيع التعبير عن هذا العدوان تجاه أسباب الإحباط فيتحدى العالم الخارجى ويحقق دوافعه بعنف وعدوان بهدف التعويض عن الحرمان ، وغالباً ما يكون الوالدن هما السبب . إذ أنه يلجأ إليهما ، مرة بعد أخرى ، معتمداً عليهما فى الحماية ، ملتمساً منهما الحب والحنان ، بدلاً من أن يترك العدوان يرتد إلى داخل نفسه كموضوع لغضبه . وتحول هذا العدوان إلى الداخل قد يزداد عن طريق عملية الاستدماج التى أشرنا إليها ، وهكذا ، فإن صورة الوالدين المندمجة أو المستدمجة التى تتمثل فيها القسوة والصرامة فى ذلك الحين ، إنما كانت - ولا تزال - مزودة بقسط من القسوة والصرامة أشد من هذا العدوان المرتد من الداخل .

المصدر الرابع : وهو غير مؤكد الحدوث ، وينطوى على كثير من الغموض ، فالطبيعة العدوانية عند الذات العليا لا يمكن أن تفسّر تماماً

بمعنى الإخفاق والإستدماج ، إن السيادة أو السيطرة وتوقيع العقوبة ، تحت ظروف معينة ، يمكن أن تضاف على المظاهر التي لديها طابعاً جنسياً واضحاً ، ولقد صنفها فرويد ووضعها في المقام الأول - كما أشرنا من قبل - وأطلق عليها : « الغرائز المركبة أو المكونة » - Laompo-nent instincts .. فاستدماج الطفل السلطة الخلقية قد يؤدي أيضاً إلى الاندماج في صورة سادية يشعر فيها باللذة من تعذيب الغير أو إيذائه ، وفي الوقت ذاته قد يستجيب لنوع من المازوكية النفسية ، وهي الإحساس بلذة التألم أو التعذب .

ولانزال ثمة نقطة أخيرة يجب أن نعتبرها شيئاً أساسياً في علاقتها وارتباطها بالاستدماج عن طريق اتحاد المقاييس الخلقية مع التقاليد المتبعة لجماعة ذات مصالح مشتركة في موطن واحد ، وفي ظل قوانين موحدة يمكن أن تجعل الطفل قادراً على أن يكون وسيلة لمواصلة استمرار انتقال عادات مجتمعه ومعتقداته من جيل إلى جيل ، وأنا الأعلى باعتباره قوة نفسية في استطاعته أن يجعل الحاضر يتغير إلى ماض . وكذلك بالنسبة للإد (من الطبقة القشرية الخارجية التي ينشأ منها أساساً الأنا الأعلى) فإن « التكوين » ^(١) ontogenesis يفوقه في الأهمية ويتقدم عليه عن طريق النشوء أو التطور النوعي phylogenesis .

ويرى يونج أن الشعور إنما هو تعبير عن منطقتين اثنتين لا يخرج عن حدودهما ، أولاهما هي اللاشعور الشخصي ، وهو مثل اللاشعور عند فرويد ؛ والأخرى هي اللاشعور الجمعي أو السلالي (١) ، ولكل من هاتين المنطقتين منطقتان أخريان إضافيتان : منطقة خاصة بالاشعور

(١) التكوين : هو نشوء الفرد أو نشوء الكائنات وتطورها .

الشخصى تسمى : « ما قبل الشعور » preconscious ، وهو مستوى يكمن وراء المستوى الشعور مباشرة لا يشعر الفرد بما يستتر فيه فى اللحظة الحاضرة ، ولكنه يستطيع أن يستحضر محتوياته متى أراد إذا بذل فى ذلك جهداً قليلاً أو كثيراً ، وهو من أهم خصائص الأنا والأنا الأعلى ، ويحتوى هذا المستوى على العديد من العمليات الذهنية والمعلومات التى سبق لنا أن حصلناها ولا يعز علينا استرجاعها ، وذكرياتنا الكامنة التى لا يشق علينا استحضارها ، ومنطقة « ما قبل الشعور » هذه إنما هى نسخة مطابقة « ما قبل الشعور » عند فرويد والمنطقة الأخرى هى : « ما تحت الشعور » أو « مادون الشعور » sub-conscious ، وهو يماثل اللاشعور الجمعى ، ويمثل النشاطات العقلية تحت عتبة الوعى مباشرة ، ومنطقة اللاشعور الجمعى أقرب إلى اللاشعور الشخصى إذ أنها تحتوى على الحوافز البدائية التى تخضع لقدر محدود من التحكم أو السيطرة ، وهذه المنطقة الخارجية مطابقة تماماً لـ « الإد » الفرويدى . والمنطقة العميقة للاشعور الجمعى تحتوى على قوى عنصرية وذكريات سلبية .

وكذلك ، يمكن أن يكون الألم الجسمانى (المصحوب باللذة) محتملاً فى ظروف معينة ، وتعرف هذه الظواهر على التوالى بـ « السادية » (٢) sadism ، و « المازوكية » (٣) masochism . ولقد أصبح

(١) اللاشعور الجمعى أو السلالى هو الأصل فى الحياة العقلية ، ومؤدى اللاشعور الجمعى أن اللاشعور يشمل تراث الحقب التى مرت بها البشرية فى تطورها وذلك بالإضافة إلى الغرائز الحيوانية العامة .

(٢) السادية : هى الميل إلى التعذيب فى نفس المذهب . وهى لفظة تطلق فى معنى واسع على النزعة إلى القسوة بصفة عامة .

(٣) المازوكية : هى إحداث الرثارة الجنسية بواسطة إحداث الآلام . والمازوكى لا تلذ له العمليات الجنسية إلا إذا تعرض لضرب القسوة .

البعض من أتباع فرويد وتلامذته يهتمون بمظاهر « الإِد » و « الأنا الأعلى » النشئية ، تلك المظاهر التي من شأنها تضيق الفجوة إلى حد كبير بين مفهوم اللاشعور عند كل من فرويد وبونج ، كما أن هناك كتاب فرويديون يعتبرون مظاهر الإِد انبثاقاً أو بزوغاً مرئياً واضحاً ، ونقصاً ظاهراً لصور فردية للحياة فى سلسلة متصلة من الزمكان .

وبونج ، أيضاً ، يعرف اللاشعور الجمعى بأنه « الميراث الروحى العظيم للترقى البشرى ، الفطور عليه كل فرد » .

وأخيراً ، يمكن أن نشير إلى إحدى الحقائق الذهبية عن البيولوجيا ، وهى : إن الكائن الحى لا يمكن أن ينفصل بأى حال من الأحوال عن بيئته .

الآليات العقلية :

إن اللاشعور الفرويدي والشعور اليونجى إنما يؤدى كل منهما وظيفته بوساطة الآليات العقلية ، كالكبت ^(١) ، والنكوص ^(٢) ، والاستدماج ، والإسقاط ^(٣) ، والاستبدال ^(٤) (كما يحصل عند توجيه الهدف الغريزى نحو أشياء أخرى غير الهدف الأصلى ولكن من نفس المرتبة أو المستوى) ، والتكثيف (إدماج عناصر ذهنية متعددة فى صورة واحدة) ، والانطواء ، والكف (اتجاه اللبيدو أو الطاقة النفسية عند

(١) repression : هو صراع نفسى عجز الأنا عن مواجهته فتجاهله ، فلاذ بأعماق اللاشعور .

(٢) regression : يقصد به انعكاس النمو المعتاد لشخصية الإنسان وارتداده إلى مستوى عقلى أو

سلوكى سابق ، كالنزعة إلى العودة إلى أنماط السلوك الطفلى .

(٣) projection : عزوما نشر به من خبرات نفسية إلى الآخرين .

(٤) displacement : إزاحة شىء عن مكانه إلى مكان آخر .

الفرد إلى الخارج) ، والتسامي .

وهذه الآليات إنما تنطوي بداهة على درجة من التعجيز لاختيار الواقع reality - testing ، وقد يكون هذا التعجيز مقبولا سواء كان من الناحية المرضية (الباثولوجية) أو من الناحية الاجتماعية ، والتوحد أى الاسترسال فى التخيل تهرباً من الواقع ، هو النتيجة الحتمية لأمثلة كثيرة ، منها « التفكير الرغبي » ^(١) wishful thinking ، وأحلام اليقظة ، وفلتات اللسان غير المقصودة ، واللعب ، والفن ، والسحر ، والأعراض الذهانية ، والأحلام .

أما اللاشعور الفرويدى فتتنشطه مادة من طبيعة الإد غير مقبولة للأنا الأعلى ، ولم يسبق خروجها إلى حيز الشعور فتكون النتيجة المنطقية هى كبت مطالب الإد الغريزية ومنعها من الخارج إلى الشعور ، وحينئذ تكون هذه المادة المكبوتة خاضعة لواحدة أو أكثر من الآليات العقلية - التى أشرنا إليها - فتحولها إلى ضرب من التفكير الرغبي الذى يمكن أن يتقبله الأنا الأعلى .

ومجموعة الأفكار أو الرغبات التى تمتلك نواة إنما تشكل عقدة Complex ، وثمة عقد معينة ذات فعالية شاملة وشرعية عامة بحسب تعبير الفروديين ، ومن ضروب هذه العقد على سبيل المثال : عقدة الخشاء ، وعقدة أوديب ، وعقدة إلكترا ، ولا يفوتنا أن كلمة « عقدة » إنما ترتبط ، بطبيعة الحال ، باسم يونج .

ويرى يونج أن اللاشعور تقوم بتنشيطه أيضا مادة لا يتقبلها الشعور .

(١) التفكير الرغبي : اعتقاد المرء بصحة شيء ما لمجرد رغبته فى ان يكون ذلك الشيء صحيحاً .

وفى سيكولوجية يونج عن الشعور نجد أربعة نماذج للنشاط العقلى ، هى : التفكير ، والشعور الوجدانى ، والإحساس ، والبديهة أو الحدس ، أما اللبيدو عند يونج ، فهو الطاقة النفسية الحيوية على وجه العموم ، بغض النظر عن الموضوع الذى تتجه إليه ، وهو يتحرك متجهاً إما إلى أمام ، وإما إلى خلف ، كما يمكن أن يتجه إلى الداخل أو الخارج ، لذلك فإن اللبيدو اليونجى يمكن أن يكون إما تقديمياً ، أو انكفائياً ، منطوياً أو منبسطاً ..

وحين يعبر اللبيدو عن نفسه فى النشاطات الشعورية عن طريق الوظيفة الذهنية ، فمعنى هذا أن الانطواء فى اللاشعور اليونجى سوف يعلن عن نفسه عن طريق واحد أو أكثر من الوظائف « غير المميزة » undifferentiated ، وعن طريق الموقف أو الاتجاه غير المميز أيضا .

وهذه الوظائف والمواقف غير المميزة هى التى تشكل العقد اليونجية ، ولا يستطيع الشخص أن يحدد وصفاً للاشعور عند يونج بدون الإشارة إلى « الطرز الغابرة » Orehetypes ، التى يعتبرها يونج صوراً ونماذج لاستجابات غريزية لاتجاهات معينة تؤدى إلى سلوك مماثل للضرورة السيكولوجية ، وذلك بفضل إمكانياتها الفطرية ، وبكلمة أخرى ، إنها هى المطابقة أو المماثلة السيكولوجية للغريزة البيولوجية .

غير أنه لا يمكن أن يكون هناك فهم عميق للاشعور سواء كان لاشعوراً فرويداً أو شعوراً يونجياً ، بدون فهم ل « اللبيدو » الفرويدى واليونجى ، وهذا هو الذى سنوجه إليه اهتمامنا وعنايتنا فى فصل تال إن شاء الله .

قوة الحياة

ليس من شك فى أن كل مادة حية تتسم بصفة مميزة تكمن فيها.. وهذه الصفة المميزة هى : « دفعة الحياة » التى تسعى للكشف عن نفسها بوسائل خاصة بالكائن الحى المفرد ، ونعنى بذلك أن دفعة الحياة ، بالنسبة للإنسان ، إنما هى الحيوية ، أو إرادة الحياة ، أو « العلة الفاعلة » elan vital (عند برجسون) ، أو اللبيدو (عند فرويد ويونج) . وسنحاول فى هذا الفصل أن نتعرف أولاً على مفهوم اللبيدو عند فرويد ، ثم عند يونج ، وتبعهما بعد ذلك بآدлер وشويتزر .

و « اللبيدو » هو الاسم الذى أطلقه فرويد على « الايروس » EROS ، غريزة الحياة والحب ، وهو نقيض « الثاناتوس » THANATOS غريزة الموت والهدم ، وهاتان الغريزتان - كما أشرنا من قبل - بحسب مايراه فرويد ، إنما هما غريزتان أساسيتان ، غريزة الإيروس تحاول دائماً أن تكون وحدات أكبر ، وذرات أوفر ، وتعمل على صونها والحفاظ عليها ، أى أنها تهدف إلى تأليف الأشياء بعضها إلى بعض من أجل استمرار الحياة ؛ وتهدف غريزة الموت إلى تفكيك الارتباطات ، وتفتيت الذرات ، وهدم الأشياء ، وإنهاء الحياة ، لتصبح الحياة نفسها صراعاً وحلاً وسطاً بين هذين الاتجاهين ^(١) .

وهدف الإيروس هو العمل دائماً على تكوين صور ونماذج من الحياة أكثر إبداعاً ، وهو بذلك يصبو إلى بلوغ ذرى الجمال والحب

(١) انظر كتاب « معالم التحليل النفسى » لسيجموند فرويد ترجمة الدكتور محمد عثمان نجاشى ،

طبعة ثالثة ، ص ٥٤/٥٣ - ١٩٥٨ وأيضاً كتاب « الذات والغرائز » لنفس المؤلف ونفس المترجم

ط ٣ ص ١٥/٦ .

والخير ؛ وأما هدف الثناؤوس فهو دفع الكائنات الحية إلى الرجوع إلى الحالة غير العضوية السابقة للحياة ، وهاتان الغريزتان يمكن أن تأتلف كل منهما مع الأخرى وتعمل معها كما يمكن أن تتعارض إحداهما مع الأخرى وتعمل ضدها ، فالأكل - مثلاً - إنما هو عملية تحطيم للطعام ، ولكن الغرض من الطعام هو تكوين إنسجة جديدة فى الجسم ، وهذه العملية الداخلية التى تقوم بها كل من هاتين الغريزتين الأساسيتين ، هى المسئولة عن جميع ضروب ظواهر الحياة المختلفة .

والليبدو يتجمع فى بادىء الأمر فى الإيجو ويستقر فيه ، إذ أن الإيجو هو المستودع الأصيل الصحيح الذى يختزن فيه الليبدو (١) . وتعرف هذه الحالة بـ « النرجسية الأولية » primary narcissism .

وعندما تتجمع الطاقة النفسية فى موضوع ما سواء كان هذا الموضوع شيئاً أو شخصاً ، يتحول الليبدو النرجسى إلى لبيدو موضوعى ، ومن ثم يبعث الإيجو « بشحنات » Catheets نفسه مضادة لعمل شحنات أخرى ، أى أنه يطوّق ما فى العالم الخارجى من أشياء ليستثمرها ، ومصادر الليبدو موجودة فى الجسم وتندفق فى الإيجو عن طريق عدة أعضاء مختلفة .

ولقد سبق أن تحدثنا عن « الإد » أو « الهو » . ونضيف هنا أن الإد - فى تصور فرويد السيكلوجى ، وفى تصور وايزمان البيولوجى - هو تلك المجموعة من الانعكاسات العصبية التى تشترك مع أجهزة الأعضاء البدنية فى بناء وتشكيل الكائن الحى قبل تكوين الإيجو فى

(١) انظر كتاب « ما فوق مبدأ اللذة » لسيجموند فرويد - ترجمة الدكتور إسحق رمزى - ص ٩٠ دار المعارف .

المقام الأول ، ثم الأنا الأعلى ، ومن طبيعة الإد أنه دائم البحث عن اللذة ، ولا يطلب سوى إشباع رغباته وشهواته مهما تكن بدون مراعاة لاعتبارات الواقع .

ولأن الإد هو ذلك الجانب اللاشعورى من النفس ؛ ولأنه يعتبر مصدراً للطاقة الغريزية ؛ ولأنه يحتوى على الميول والرغبات الفطرية ، وعلى الغرائز التى تنبعث من البدن ، فهو إذن غير أخلاقى وجاهل وغير مدرك للأخطار ، ولا يبالى بأى قلق . ومع ذلك ، فإن له مناهجه الخاصة بالإدراك الحسى ، فهو شديد الحساسية بالتغيرات التى تطرأ فى التوترات العضوية التى تستحثه فى البحث تواء عما يرضيه أو يشبع حاجاته الغريزية التى لا يهتمه سواها .

وهكذا يعمل الإد بعناد لا يلين وفقاً لـ « مبدأ اللذة » ..

وكان فرويد شديد الاهتمام بالسؤال النظرى عن : متى وكيف يمكن أن يكون فى الإمكان التغلب على مبدأ اللذة .. ذلك المبدأ الذى يفتقر إلى خفض التوترات الداخلية لحاجاته الغريزية ، وليس الامتناع المطلق لسائر الرغبات وقهر الذات وإخماد شهواتها ، فهذا قد يؤدى إلى « النرفانا » Nirvana أى الموت أو الفناء .

جهاز آلي مغلق :

واللبيدو فى تصور يونج هو الطاقة النفسية عموماً ، أو المجموع الكلى للقوة داخل الجهاز النفسى ، واللبيدو هو القوة مفرطة الشدة للعملية النفسية التى يمكن أن يتم تحديدها من خلال تأثيراتها

(١) التجريد : استخلاص فكرة أو فصل صفة أو عنصر عن غيره فى جسم أو موضوع ما .

السيكولوجية ، كما أنه بمثابة تجريد^(١) يعبر عن علاقات دينامية ، وهو في ذلك أشبه بمفهوم « الطاقة » في الفيزياء .

ويؤكد يونج - من ناحية أخرى - على أننا ما نزال عاجزين عن الإجابة على السؤال عما إذا كان هناك وجود أو عدم وجود لطاقة نفسية مميزة ، وهو في الوقت ذاته يلتزم إلى حد ما بالتمائل أو التناظر الوظيفي للفيزياء ، ويعتبر الجهاز النفسى الكلى جهازاً آلياً مغلقاً self - regulating يقوم بحركة دينامية مستديمة ومنظمة .

وحيث أن الوظائف والمواقف غير المميزة - التى أشرنا إليها من قبل - لاشعورية ، فهى لذلك تحرز جهداً من اللبيدو أعلى أو شحنة أكبر ، كما أن هناك أيضاً انجهاها من اللبيدو للانطلاق من نقطة جهد عال إلى نقطة جهد منخفض لمحاولة إحراز التوازن . وهذا التوازن يمكن التعبير عنه - بلغة الفيسيولوجيا - بأنه محاولة من قبل الكائن الحى لتحقيق « الاتزان البدنى » بين عناصر الكائن الحى المختلفة Homeostasis ، وبكلمة أخرى ، ثبات البيئة واستقرارها الداخلى .

والتوازن - فى الفيزياء - يماثل تماماً قانون الانتروپيا^(٢) entropy (أى توقف الطاقة عند درجة الصفر) . والانتروپيا المطلقة يمكن أن تفضى إلى الموت .

ولكن يونج يقول : « إن النفس جهاز آلى » ومن ثم فإن اللبيدو يمكن أن يكون موضع دراسة متأملة نظراً لكونه خاضع لقانون نفسى فى بقاء الطاقة ، وكمية اللبيدو مستقرة وثابتة وغير متغيرة ، ولكنها

(١) الانتروپيا : عامل رياضى يعتبر مقياساً للطاقة غير المستفاد فى نظام دينامى حرارى .

قادرة على أن تجعل الكائن يتحرك ويتنقل بصورة طبيعية من الضد إلى الضد الآخر بسبب التباين في الجهد الموجود بينهما ، ويمكن أن يتحول اللبيدو أيضاً من الضد إلى الضد الآخر بفعل الإرادة ، وبهذه الطريقة تنشأ التوترات المفعمة بالنشاط بصفة مستديمة بسبب الوظائف غير المميزة الخاصة بالاشعور .

ويشير يونج إلى أن « ليس هناك توازن equilibrium وليس ثمة جهاز آلي بدون تضاد » . كما أنه يعتبر الطاقة وخصائصها صورة بدائية للاشعور الجمعي .

ولقد أشرنا من قبل إلى اتجاهات اللبيدو سواء من الأمام إلى الخلف ، أو من الداخل إلى الخارج . والتوافق الناجح^(١) يضمن للفرد تحقيق احتياجاته الملحة ، ومطالب الواقع ، مما يؤدي إلى حركة تقدمية من اللبيدو . أما الفشل في التوافق قد يفضي إلى حركة ارتدادية .

ومن ناحية أخرى ، عندما يوجّه الموضوع دوافعه وعوامله الذاتية إلى العالم الداخلي بدون مراعاة لمقتضيات العالم الخارجي ، فاللبيدو هنا يكون منطوياً ، وإذا استمر الفرد على فشله في التوافق مع مطالب الواقع ، ستكون حركة اللبيدو والانكفائية سبباً في تقوية اللاشعور وزيادة حدته ، وإعاقة هذه الطاقة تؤدي إما إلى عصاب^(٢) neurosis إذا كان النكوص جزئياً ، أو إلى ذهان^(٣) psychosis إذا كان النكوص كلياً .

(١) التوافق : هو تكييف المرء نفسه وفقاً للبيئة بصورة تضمن له تحقيق احتياجاته ومطالبه بشكل مقبول اجتماعياً وشخصياً .

(٢) العصاب : هو المرض أو الاضطراب النفسي .

(٣) **الذهان** : هو المرض العقلي .

(٤) النكوص : هو ارتداد إلى مستوى عقلي أو سلوكي سابق ، كالنزعة إلى العودة إلى أعمال معينة وخبرات معينة وأنماط من السلوك كان يأتيها الإنسان في طفولته .

إرادة القوة :

ولقد أشرنا أيضاً إلى سيكولوجية آدلر . ولعل القارئ يذكر أن آدلر يؤكد أن القوة الدافعة في الحياة هي إرادة القوة التي تتمثل في « تأكيد الرجولة » masculine protest ، وهي محاولة عصابية للحصول على التفوق والسيطرة والعظمة ، وذلك للتعويض عن الشعور بالنقص الناشئ عن عجز عضوى أو معنوى أو ضعف نفسى ، والناجى عما يعاينه الشخص من الإحساس العام بعدم الطمأنينة أو الأمن - إلى حد بعيد - تجاه الناس جميعاً ، نتيجة لمرحلة النضج الطويلة التي كان الطفل يعتمد فى خلالها اعتماداً كلياً - وبرهبة - على والديه .

ويعتقد آدلر أن إرادة القوة هذه التي تعتبر سمة لـ « المعيشة على الجانب العقيم غير المجدى من الحياة » يمكن استخدامها للأغراض الاجتماعية ، أى جعلها مقبولة اجتماعياً عن طريق الاستبدال ، مثل « هدف الحياة » و « الفائدة الاجتماعية » . وبهذه الطريقة يغدو الفرد « متحركاً من الناقص إلى الزائد » . ويبدو ، أن آدلر كان مقتنعاً بأن هذا « الكفاح من أجل التفوق » إن هو إلا مظهر « سوى » لمجتمعنا ، مؤسس فى واقع الأمر على اقتصاديات مشروع خاص .

ولقد أفضت إرادة القوة هذه لضرب من السلوك التنافسى الاجتماعى ^(١) الذى يهدف إلى : البقاء للأصلح والفناء للضعيف . ومن ثم كان علاج آدلر النفسى أسلوباً لإعادة التربية إلى مبادئ الحياة الاجتماعية ، وكان أمله الحقيقى من إصلاح الجنس البشرى وترقيته هو التمهيد لإعادة تنظيم المجتمع على طول الخطوط الاشتراكية .

(١) الاجتماعى : نفوذ من الاختلاط بالآخرين .

ولم تكن سيكولوجية آدلر متأثرة بفلسفة شوبنهاور التشاؤمية بقدر ما كانت متأثرة بفلسفة نيتشه .

ومن الملاحظ أن مقالات آدلر في فهم العدوان وتأکید الذات تكاد تكون نسخة سيكولوجية مطابقة لفلسفة نيتشه عن « إرادة القوة » ، ولقد صرح آدلر بذلك ^(١) .

أما فلسفة شويتزر عن « المهابة من أجل الحياة » Reverence for life ، فقد قامت على أساس عالمية « إرادة العيش » التي تعلن عن نفسها وتؤكد وجودها على حساب البيئة التي تدعو إلى إرادة العيش ، ويعبر شويتزر عن فلسفته هكذا : « أنا إرادة العيش في وسط إرادة العيش » . وهذه - من وجهة النظر الفلسفية - إن هي إلا صيغة لمذهب وحدة الوجود ^(٢) الذي يعتبر كل ما هو حي في الكون تعبيراً مطلقاً عن الإرادة الإلهية .

ولارب في أن هذه الآراء التي يبيدها شويتزر تؤكد وجود الدوافع العدوانية في الإنسان ، تلك الدوافع التي تهدف إما إلى التسيطر على العوائق وقهرها إشباعاً لرغبة أو حاجة ؛ وإما إلى العمل على تدميرها ، فنحن حينما نوجه عدواننا إلى الداخل فإنما نحطم أنفسنا تعبيراً عن الرغبة في الموت ، أما إذا وجهنا تلك الدوافع إلى الخارج فإننا نعبر بذلك عن إرادة الحياة التي نتمتع بحرية التصرف فيها ، ولكن على

(١) Adler : " Le Temperament Nerveux " P. 14

(٢) هو المذهب الذي لا يرى في الوجود غير الله ، وما سائر الموجودات إلا مظاهر للذات العلية . وفي الفلسفة العربية ظهر هذا المذهب عن الحلاج وابن عربي . ومن أشهر القائلين بهذا المذهب « سبينوزا » الذي يقول بأن الله هو وحده الوجود ، والعالم مجموع المظاهر التي تعلن عن ذات الله دون أن يكون لها وجود قائم بذاته (Ethique prop. 15) .

حساب شخص ما أو شيء ما فى العالم الخارجى .

وهكذا فإننا نعيش بمقتضى قانون الإجبار أو القهر الذى من شأنه أن يدمر كيما يعيش Law of Compulsion . فمن أجل أن نظل على قيد الحياة ، فإن إرادتنا للعيش (الإيروس) لابد أن تتضمن أيضا إرادتنا للتدمير (الثناتوس) . وهكذا نجد أنفسنا فجأة تجاه ظاهرة « التناقض الكامل » ^(١) polarity أى التضاد الموجود فى نفس الزمان وفى نفس المكان .

دافع عالمي عام :

لا يمكن أن يكون ثمة شك فى وجود إرادة الحياة . فلولا وجود قوة الحياة ما كانت هناك حياة البتة على وجه الأرض .. وإرادة العيش هذه ، فى أبسط صور الحياة ، إنما هى دافع أو حافز قوى ملح لاشعورى يعمل على مواصلة الحياة واستمرارها .

ولبلوغ الإنسان درجة من الذكاء عالية ، ولا كتمال نموه العقلى والنفسى ، فقد أصبحت لديه حاسة وعى ودراية وحسن فهم للأمور جعلت إرادة العيش الإنسانية لديه أقوى بكثير من الدافع الأعمى الذى يتشبث بالبقاء من أجل البقاء .

وللإنسان إرادة حرة لها أثرها القوى وتأثيرها العميق فى الإيروس ، وبسبب هذه الإرادة الحرة يمكن أن يتأثر الثناتوس بطريقة مماثلة .

وهذا يقودنا إلى القضية المتنازع عليها ، وهى : الإرادة الحرة مقابل

(١) التناقض الكامل : هو ظاهرة الاستقطابية فى الفيزياء : التكشف عن مبدئين أو نزعتين

الاحتمية^(١) determinism . ومن الواضح لدى أى شخص مفكر أن ثمة حتمية موجودة فى هذا الكون . ولولا ذلك لضربت الفوضى أطنابها ، وعم الكون الفساد .

ومن المعطيات الأولية للخبرة وجود إرادة حرة ، إذ أن الفرد بدون إرادة حرة لن يكون أكثر من إنسان آلى يودى عمله بطريقة آلية .

وما كان الإنسان فريداً فى نوعه ، ومميزاً عن باقى المخلوقات ، ومفضلاً على سائر الكائنات ، إلا لقدرته على مقاومة بعض النزعات وإطلاق نزعات أخرى ، ولقدرته على الكف والمبادأة ، ولضرورته حتى تكون له حرية الاختيار بين أمرين مختلفين ، أو تغليب غاية على غاية أخرى ، وأن تكون له حرية اختيار السلوك الذى يميل إليه بعيداً عن المؤثرات الخارجية أو الداخلية .

ومذهب الاحتمية - كمفهوم فلسفى - يطابق تماماً ظاهرة العلوم الطبيعية^(٢) ، ولذلك فهو يوائم تلك المظاهر الخاصة بوجودنا ، المفهومة ضمناً بلغة العلوم الطبيعية ، ولكن تلك المظاهر الخاصة بوجودنا ، المفهومة جيداً بلغة العلوم العقلية أو الأخلاقية ، يمكن أن تتواجد مع كل من الإرادة الحرة والاحتمية فى وقت معاً ، وتتعايش معاً . أى أن

(١) الاحتمية : مذهب لا يعترف بالإرادة الحرة ، وتظهر الفلسفة الاحتمية فى أقصاها عند فرويد وأتباعه ، فهو يرى أن سيطرة لنا على أعمالنا . وأنه ليس إلا واهماً من يعتقد أنه يستطيع أن يفعل أو لا يفعل ما يريد ، إن أعمالنا جميعاً حتمية لأن أسبابها ودوافعها حتمية ، فأساس كل تصرف هو اللاشعور ، ما كان منه فى جانب الهوى ، وما كان فى جانب الأنا الأعلى ، ونتيجة هذا التفاعل اللاشعورى المستقل عن إرادة الإنسان هو السلوك على أى وجه كان .

(٢) العلوم الطبيعية : هى علوم المعرفة المعنية بالأشياء الطبيعية ، وتشمل علم الأحياء ، والجيولوجيا ، وعلم المعادن ، والفيزياء ، والكيمياء .

كلاً منهما يمكن أن يعيش مع الأخرى فى سلام وأمان ، فى نفس الزمان ونفس المكان ، وهكذا نعود بذاكرتنا مرة أخرى إلى ظاهرة التناقض الكامل .

والليبدو عند يونج يقوم على أساس « الواحدة » أو الأحدية - monistic ، أى أن يونج يعتبر الطاقة النفسية (الليبدو اليونجى) كائناً جوهرياً واحداً ، حتى ولو تعددت مظاهره ، فهو خاضع لتحولات طبيعية أو صناعية ، بحسب الجهد الديناميكى فى أى موقف محدد .

وحيث أن الليبدو اليونجى هو المجموع الكلى للطاقة أو القوة النفسية الحيوية عامة بداخل الجهاز النفسى - بغض النظر عن الموضوع الذى يتجه إليه - فهو يشمل كل صنوف الظواهر النفسية التى يمكن تصورها أو تخيلها بالإضافة إلى نقيضه المضمر ..

وحيث أن الحياة والموت نقيضان ظاهران فلا يكون الليبدو اليونجى هو التعبير عن « الإيروس » الفرويدى فحسب ، وإنما يكون أيضاً تعبيراً عن « الثناتوس » الفرويدى ، ومن هنا يتأكد لنا أن مظاهر الليبدو اليونجى أكثر سعة وأعظم اختلاطاً من الليبدو الفرويدى ، وأنه يطابق - فلسفياً - « الطاقة الحيوية » أو « دفعة الحياة » عند برجسون .

ولقد كان الليبدو الفرويدى ، فى وقت ما ، مرادفاً « للإيروس » ، وهو أحد غريزتين أساسيتين ، ثانيتهما هى « الثناتوس » وكان الإيروس أو الليبدو هو التعبير السيكولوجى للغريزة الجنسية ، الذى أطلقه فرويد على « الجنس » sex بالمعنى الواسع جداً فى المصطلحات الفنية الفرويدية .

وكان فرويد ، قبل ذلك ، ينظر إلى الجنس على أنه هو الغريزة الوحيدة العامة ، ولكنه عاد فيما بعد وتحقق من وجود غرائز مركبة أو مكوّنة ، كالسادية والمازوكية . وكانت هذه الأخيرة ، فى رأى فرويد ، ناشئة عن تخلف الترقى السوى الذى يؤدى إلى التثبيت fixation ، وهو إعاقة وكف لتلقى الليبدو ، ولكن وجود العدوان aggression بالإضافة إلى الطابع الجنسى المميز والواضح فى مواقف معينة جعل مشكلة الغرائز المؤلفة أكثر تعقيداً .

أخيراً ، اعتبر فرويد السادية عدواناً مصحوباً بإحداث الإثارة الجنسية ، تتجه طاقاته لخارج البيئة ، أى إلى موضوعات أو شخصيات خارجية ، كما اعتبر المازوكية اختلاطاً مماثلاً ولكنها فى صميمها عدوان يتجه نحو الذات . وإنه لعدوان ، فى كلتا الحالتين ، سواء كان موجهاً إلى الخارج أو إلى الداخل ، أطلق عليه فرويد اسم « الثناتوس » . وهذا العدوان إنما هو غريزة بلغت ذروتها فى الهدم والتدمير . أما الغريزة الأخرى وهى غريزة « الإيروس » فهى على نقيض « الثناتوس » تماماً : تشد الخير والحق وتصبو إلى بلوغ ذروة الحب والجمال .

ولقد كان هذا العدوان ، فى واقع الأمر ، تناقضاً لغريزتى الموت والحياة ؛ ولكنه تناقض محدود ، لأن الغرائز ليست مظاهر مختلفة للطاقة النفسية ذاتها ، ولأن كل غريزة لها مصاحب انفصالى ، وهو ضرب من الشعور يبلغ من الأصالة والعمق مبلغ الدافع الذى تقابله .

ومع ذلك ، يجب أن يكون من المسلم به أن هذه الغرائز هى النقطة الأساسية المثيرة للجدل فى الميتاسيكولوجية الفرويدية ^(١) ، إذ أنها

(١) استخدم فرويد هذا الاصطلاح لدراسة الظواهر النفسية عن طريق التأمل فى العلاقة بين العمليات العقلية والعمليات الجسمية أو فى مكانة العقل فى الكون .

أكثر عرضة للتفسيرات المختلفة التي لا مناص منها ، لأن فرويد
كان يفكر بلغة التوترات البيولوجية tension of biology ، فى حين أن
الليبدو اليونجى هو ثمرة التفكير بلغة ديناميكا الفيزياء .

نظرية اللاشعور السلافي

عند يونج

سبق أن أشرنا فى الفصل الثالث إلى أن فرويد ليس هو الذى اكتشف اللاشعور ، ولا هو حتى الذى أطلق عليه هذه التسمية ، وإنما كان عمله الرائد الذى مهّد الطريق إلى اللاشعور هو أنه قام - كمتخصص - بمحاولة استخدام العامل اللاشعورى فى علاج الأمراض العقلية ، كما أنه اكتشف العنصر الجنسى فى اللاشعور ، وأعلن أنه ليس هو العامل المهم الوحيد على أى حال ، وأعلن أيضاً أن أحلام الشخص يمكن أن تستخدم كأوثق وأصدق دليل للإتجاه العام للاشعور ، لذا كان اهتمامه شديداً بدراسته العملية المستفيضة عن الأحلام ، وكانت بالحق دراسة ممتازة فذة تعدّ من أعظم دراسات العصر الحديث .

واختلف آدلر فرويد لعدم اقتناعه بأن الدافع الجنسى هو أقوى دافع فى البشرية ، مؤكداً أن الدافع الأقوى هو الإرادة الأنانية للقوة ، وأن نشاط الحياة أوسع فى مداه من الغريزة الجنسية ، وأن طبيعة « النمو » بكل معانيها هى علة العلل ، بل هى أعمق الجذور .

ونظر كل من فرويد وآدلر إلى التاريخ الشخصى للفرد منذ ولادته إلى ما بعد ذلك كتاريخ يحتوى على أسباب الاضطراب العصبى فحسب ، ولم يجتذب انتباه أى من هذين الرجلين شىء فى مرحلة الطفولة المبكرة أكثر من الماضى الخاص بالفرد ، وعلاقته بالأشكال الخارجية أو المظاهر والانطباعات الغالبة فى بيئة الطفل ، (الأم أو الأب أو الأخت أو الأخ أو البدائل) من ناحية ، والعارض لبنية الجسم أو

طبيعته أو مجموع خصائصه التى تتألف منها وحدته ، من ناحية أخرى .

وكان كل منها يعتقد أن متاعب الحاضر إنما ترجع إلى بعض الكوارث التى حدثت للفرد فى الماضى خلال تجاربه الخاصة التى مرّت به فى حياته ، وبتقصى هذه الرواسب وتتبع آثارها ، ومعرفة أسبابها ، والعمل على إزالتها ، والتطلع بعد ذلك إلى المستقبل وما فيه من تطلعات وأشواق ، يمكن معالجة ما يصيب الصحة - الجسدية أو العقلية - بالاعتلال إن كانت قابلة للعلاج .

واختلف يونج مع فرويد فى تفسير مفهوم اللاشعور . قال يونج : إن ثمة عناصر كانت موجودة فى اللاشعور لايمكن تفسيرها على أنها شىء شخصى بحت ، وميّز يونج بين اللاشعور الشخصى واللاشعور « الجمعى » بأن اللاشعور الشخصى هو الذى فرض عليه أن ينسى ، أو أن يكبت فى الحياة العقلية ، أو هو الذى كان فى حالة تجريبية ولكن بدون وعى ، ويقع تحت اللاشعور الشخصى مستوى للمادة اللاشعورية الموروثة فى بروتوبلازما المخ والجهاز العصبى .

أما العوامل القوية والبارزة فى اللاشعور الجمعى التى لم يتقبلها فرويد كحقيقة ، فهى التى أطلق عليها يونج اسم « النموذج أو المثال الأصىلى » أو « النماذج المطابقة (للجسد المادى) » Archetypes ، أو « الصور الغابرة » Primordial images . وهذه الصور الغابرة ليست أفكاراً موروثة ، وإنما هى نتاج خبرات موروثة عن السلف البعيد ، وصدى لحوادث الحقب التى مرّت بها البشرية فى تطورها ، وذلك بالإضافة إلى الغرائز الحيوانية العامة . وتحتوى « الصور الغابرة » على أقدم الأفكار

المتأصلة فى الجنس البشرى عامة .

ولكون هذه النماذج والطرز غابرة فهى تظهر فى الأحلام بشكل خرافى يتسم بالعنف والهمجية ، وتبدو للحالم على هيئة حيوانات أضخم من حجمها الطبيعى كانت تعيش فعلاً فى أطوار تاريخية موعلة فى القدم لم نرها فى حياتنا قط ، وغالباً ما يصحب هذه النماذج إحساس بأنها فى غاية الأهمية فى حياة الحالم . ويمكن اكتشاف هذه النماذج ليس فى الأحلام فحسب وإنما أيضاً فى الخطوط العريضة لرد الفعل عند الإنسان لبيئته وتفاعله معها .

ولقد أخلص فرويد فى عمله كل الإخلاص ، وواصل أداء واجبه بأمانة وبكل دقة حتى توصل إلى حقائق سيكولوجية علاجية فى غاية الأهمية ، وكشف عن كثير من المركبات النفسية ، وعن مصادر الأمراض النفسى الذى يعتبر أيضاً من أهم ابتكاراته .

أما يونج فقد دلف ببطء وهدوء إلى أمام متجهاً إلى عالم المجهول ، خارج حدود المساحة الضيقة المحدودة « للعلم » كما يفهمه فرويد . وهو يرفض تحويل العلم إلى كتلة صماء لا تتطور ولا تتأثر بالحياة .

ويؤكد يونج أن جذور النفس البشرية لانتتهى إلى غريزة من الغرائز التى يذكرها هو أو يذكرها كل من فرويد وآدلر ، لأن « الجذور » العميقة سابقة لوجود الحى بل لوجود الحياة ، وخلاصتها عنده أنها هى « الإله » الذى لا يدرك بغير الرمز والتسليم . ولا يخرج من عالم الأسرار إلا فى صورة من صور العقيدة الدينية ، وهى - إذا جاشت بها نفس الإنسان - حقيقة واقعة لا تقل ثبوتاً وأصالة عن حقائق الطبيعة

وحقائق المحسوسات والمعقولات .

وكابد يونج كثيراً ، وتعرض لكثير من النقد والتشهير والمطاردة والاضطهاد لجرائته ، ولكنه يقول فى كتابه :

« إسهامات فى علم النفس التحليلى » ^(١) و « مقالتان فى علم النفس التحليلى » ^(٢) « إنه لا يستطيع أن يذهب إلى أبعد من ذلك .. » .

وفى هذين المؤلفين يقرر يونج أن هذه الصور الغابرة موجودة فى كل البشر ؛ وأنها تحمل مادة الحياة بأسرها ، بجانبها المضىء وجانبها المظلم على حد سواء ؛ وأنها حقيقة سيكولوجية ترجع إلى السلالات الغابرة التى انحدر منها الإنسان . وليس النموذج أو المثال الأصلى دليلاً أو برهاناً علمياً على وجود الله . فالإنسان ليس فى حاجة إلى برهان علمى لوجود الله تعالى .

ووصف يونج « النموذج أو المثال الأصلى » بأنه « الإنسان السماوى » للإشارة إلى أنه يمثل العنصر الخالد فى الإنسان . وقال يونج عنه إنه من طبيعة روحية ، وإنه بالتسليم به لا يعارض آراءه السابقة فى علم النفس ، لكنه يدفع بها قدماً إلى الأمام للوصول إلى تعاريف أكثر دقة ، بعد أن وجد نفسه مضطراً إلى القيام بتحليل عام لطبيعة النفس لإيضاح الخصائص الأولية المتعلقة بها ، والصلات بين بعضها والبعض الآخر .

وقد لا أكون مبالغاً إذا قلت إن يونج هو أعظم المحللين على

" Contributions to Analytical Psychology " (١)

" Two Essays on Analytical Psychology " (٢)

الإطلاق . ولست أقول « المحللين النفسيين » فهذا اصطلاح أطلقه يونج على الفرويدين ، أما نشاطاته الخاصة به فقد أطلق عليها اسم « علم النفس التحليلي » مؤكداً اهتمامه بالأبعاد الاجتماعية والثقافية لسلوك الإنسان ، وقد بدأت هذه النشاطات منذ مستهل حياته بدراسة الظواهر غير المألوفة ، وأسس للتحليل النفسى مدرسة جديدة قائمة بذاتها استقلت فى العديد من جوانبها عن مدرسة فرويد تسمى مدرسة « علم النفس التحليلي » Analytical Psychology بدلاً من مدرسة « علم التحليل النفسى » psycho - Analytie التى أسسها فرويد .

ويقول يونج إن المناهج الخاصة بفرويد وأدلر إنما هى مناهج « غرضية » Causal و « قهرية » reductive . أى أن كلاهما كان يسعى بجد فى البحث عن السبب العقلى المباشر للإضطراب (العقلى أو الجسمى) فى سيكولوجية الفرد الحالية ، ثم يحاولان العثور على السبب الذى يرجع إلى ذلك ، والتحرى عن الأسباب الأخرى التى تعود به إلى الخلف منذ الطفولة المبكرة .

ويضيف يونج رآيه الخاص فيما يتعلق بـ « الكشف عن الأغراض »^(١) وإيجاد ما كان مجهولاً منها « بأنه » رأى قاطع ونهائى « ، « مبنى على الاستدلال » بقصد الإبانة للمريض - بعيداً عن اللاشعور الخاص بالمريض - كيف يكون من الأفضل أن يجمع شتات نفسه^(٢) Psyche المفككة بعد أن يتم تحليلها وإقصائها جانباً ، وفحصها على حدة من جميع وجهات النظر المحتملة .

(١) الغرض : هو ما يتصوره المرء نتيجة لأفعال يصمم على القيام بها تحقيقاً لما يتصوره .

(٢) النفس : يقصد بها مظهر الحياة ، أو مصدر الحياة العقلية بنوع خاص ، أو الحياة العقلية ذاتها متضمنة عملياتها الشعورية وغير الشعورية .

وهذه دفعة إلى الأمام ، بدون ريب . وإنى لأذكر فى الأيام المبكرة لدراستى الخاصة فى التحليل النفسى ، إنى كنت أتساءل - بينى وبين نفسى - وأتوق توقاً شديداً إلى معرفة ما إذا كان حقاً وصدقاً أن إنساناً ما عندما يرى كل ما يمكن أن يراه من لاشعوره الخاص ، ويلقى عليه الضوء من شعوره ، يغدو كل شىء فى العقل الإنسانى سليماً معافى ؟ .. وإذا لم يكن هذا صحيحاً ، فلماذا ؟ .. ولقد اقتنعت الآن بأن هذا إنما يرجع إلى عدم وجود عنصر مبدع أو قادر على الإبداع إلى حد مقبول فى النهج التقليدى المقرر إلى المستقبل بما فيه الكفاية .

ومن النقط البارزة التى تستلفت النظر وتثير الانتباه فى سيكولوجية يوج - بالإضافة إلى ذلك - ما أشار إليه فى هذين المؤلفين من بعض أشياء مشوقة وممتعة تدعو إلى التفكير والتأمل عن : الأنوثة ANIMA ، والذكورة ANIMUS ، والقناع PERSONA ، وشخصية قوى الطبيعة المجسدة MANA PERSONALITY ، التى تساعد كل منها فى تفسير أو تحليل علاقة الفرد بالنفس وبالعالم .

والشىء العجيب الغريب واللافت للنظر عن « الأنيمة » و « الأنيموس » - حسب ما يراه يوج - هو أن فى أعماق الرجل أنوثة ، وفى أعماق المرأة ذكورة . أى أن النفس (صورة الجسم الجوهرية) فى الرجل تنطوى على أنوثة ، والنفس فى المرأة تنطوى على ذكورة . فلا توجد ذكورة إلا بأنوثة تكملها ، ولا توجد أنوثة إلا وفيها شىء من الذكورة .

وكلما كانت الذكورة عند الرجل قوية فى الظاهر ، أى فى الحياة الشعورية ، كانت الأنوثة التى تنطوى عليها نفسه أكثر صدقاً فى لاشعوره ، والعكس صحيح بالنسبة للمرأة . فالمرأة بقدر ما تكون أنوثتها أكثر ، فإنها تحمّل فى أعماقها ذكورة أكثر صلابة وصرامة ، وبقدر ما يكون اقتراب كل من الجنسين إلى الآخر فى الصورة وفى المظهر الخارجى أكثر ، يكون التشابه فى الجنس أقل بالنسبة لجسم كل منهما ، وكلما كانت الأنوثة فى جسم الرجل وفى أفعاله أقل ، كانت الأنوثة فى أعماق نفسه أكثر .

وهذه الموازنة التى تبدو كما لو كانت تعمل على تعادل مقدار جانبى الأنوثة والذكورة فى كل من الجنسين ، إنما هى حالة خاصة فى المبدأ العام للتعويض Compensation ، الذى يقول : إن كل مالا تمتلكه فى حياتك الشعورية ، تمتلكه فى لا شعورك ، كما أن كل ما تمتلكه فى لا شعورك ، لا تمتلكه فى حياتك الشعورية .. أنت تظن ذلك ، ولكنك فى واقع الأمر تمتلكه ، وتحسب أن شخصاً ما غيرك يمتلكه دونك ، فتشعر فجأة بأنك قد أحرزت فائدة عظيمة .. هى أنك قمت بعملية « إسقاط » مع شخص ما غيرك .

وفىما يتعلق بفكرة التعويض هذه ، فإن ثمة تفسيرين اثنين لكل حلم ولكل عنصر من عناصره . فلقد كرس الفروديون جهدهم للإعلان عن أن الحلم إنما يعبر عن علاقة الحالم بالعالم الخارجى ، وبما يقع فى الحياة من حوادث وأحداث ، فلو أنك حلمت بشخص أو حتى بحيوان ، فإن تفسيرات الفروديين تقوم على أساس ما يمكن أن يكون قد قام به شخص أو حيوان حقيقى من دور هام فى حياتك

الماضية الخاصة . وهذا هو التفسير الموضوعي للحلم عندهم .

أما يونج فيشير إلى أن نفس الحوادث التي يحتمل وقوعها في الحلم ، مهما تكن هذه الحوادث خارجية ، فهي في الوقت عينه تعتبر كأجزاء من ماضيك .. أجزاء منتقاة وممتازة .. وهي ، فضلاً عن ذلك ، أجزاء منك .. فإذا حلمت بحيوان ، فأنت جزء من حيوان . وإذا حلمت بأسد ، فأنت جزء منه ، أو على الأقل ، كالأسد ..

والآن ، فإن الشخص الذى لم يسبق أن يعالج بالتحليل النفسى كلية لا يستطيع البتة أن يفهم مدى ما يراه من هذه القيمة الذاتية . فالذى يسمع وصفا للجمال ليس كمن يراه بعينه .

وليس من ريب فى أن مطالعة مؤلفات يونج عمل مفيد للغاية ، لأنها تفسر بوضوح ذلك المبدأ الخاص « بالإسقاط » . وهو إلقاء الإنسان ما يحتويه لا شعوره من صفات أو مشاعر إلى الخارج ، فيرى صورتها معكوسة على مرآة غيره ، ومعنى هذا أن كل شئ تراه فى العالم الخارجى ، فى الناس والحيوانات والأشياء والأنشطة بكل صنوفها إنما هو كامن فيك .. ولو لم يكن هذا كله موجوداً لما رأيته إطلاقاً ..

وإذا كنت فى غاية القلق لخيبة شخص ما ، أو لوقوع ظلم عليه ، فمعنى هذا أن عقلك يسجل مدى ذلك الظلم الذى حاق بهذا الشخص . وإلا فما كنت تستطيع أن تراه البتة . ويعنى أيضاً ، أن الظلم فى التحليل الأخير إنما يكمن فيك ، بيد أنك تراه فى الشخص الآخر ، ومثل هذه الأشياء لا تعطى فكرة صحيحة ولا تعتبر حقيقة موضوعية ،

وأما فكرة الإسقاط فهي فكرة نيرة تلقى بضوئها الساطع على المدركات الحسية العادية في الحياة ، وفي تفسير الأحلام .

وإسقاط الأنوثة (الأنيمة) له من الأهمية درجة عالية بالنسبة لتعلق الإنسان بالحياة وحبها لها ، فهو يحمل في أعماقه نفساً Soul ، وعاملاً مخنثاً ، ليناً ، غضاً ، رقيقاً ، على مثال ما ينبغي أن تكون المرأة عليه . ويظل مثاله هذا جزءاً من بنيته الجسدية والعقلية ، وهو حينما يرى الفتاة الصغيرة الملائمة ، فإنه لا يراها كما هي مطلقاً ، ولكن يرى فيها أنوثته التي تضيف عليه شكلاً أو مظهراً خارجياً ومحددًا للحقيقة ، وتشبع أنوثته الكامنة .

وثمة جزء كبير عن النظرية الحديثة الخاصة بمساواة المرأة بالرجل في الحقوق والواجبات سياسياً واقتصادياً واجتماعياً يتمثل في رد الفعل الغريزي من قبل الجنس اللطيف تجاه هذا الالتزام ليمثل في الحياة دور الأنوثة ويتصرف تصرفها ، ومن ثم تأخذ النساء على أنفسهن القيام بالأعمال الخاصة بالرجل ، ويسرن على نهجه في تصرفه وسلوكه وأسلوبه وصفاته ، ويقمن بأعمال مثيرة تتسم بالجسارة والبراعة في مختلف فنون الرياضة كالسباحة والمصارعة وقيادة الطيارات وتسلق الجبال ، حتى لا يظن أى رجل أن المرأة لا تعدو أن تكون مجرد ذلك الشيء الناعم المطواع الذى يمتلكه لنفسه خاصة ، ويقدر ما تكون ذكورة الرجل ، تكون بطبيعة الحال ، أنوثة المثال الذى يتخيله .

إن الخصيصتين المميزتين الرئيسيتين : الأنثوية Qnima ، والذكورية Qnimus (وهما الاسمان اللذان أطلقهما يونج على علاقة المرأة بنفسها Soul) ، هما على التوالي : شعور ساذج فطرى ، يتعذر

التعبير عنه بالكلام ؛ و (أنيموس) غير معقول ولا مقبول إطلاقاً، ولكنه - برغم ذلك - ملتحم بالتفكير وتمسك به . فإذا استطاع أن يكون واعياً لطبيعة شعور أنيمته ، أى لعلاقة نفسه المؤنثة ، لأمكن ضبطها وفقاً لمعايير شعوره الخاص ؛ ولكن لكونها فى لا شعوره فقط ، والمرأة الحقيقية لا ترى مالم تتحول عن طريق إسقاطه من أنوثته ، كستار بينهما ، فإن مشاعره وأحاسيسه (العامل المؤنث الحقيقى) تظل غير منظمة ، وتخرج منطلقة بسرعة السهام إن لم تكن كالطلقات النارية .. وكذلك الحال بالنسبة للمرأة فإن لها هى الأخرى متفجراتها وانفعالاتها السريعة وآراها غير المرتبة ، ومعتقداتها التى تعبر عنها وتعمل وفقاً لها .

ويتحدث يونج عن الطاقة النفسية المستمدة من الدوافع البيولوجية الأولية LIBIDO ، فيجعل لفظ « لبيدو » شاملاً لكل طاقة نفسية حيوية على وجه العموم ، بغض النظر عن الموضوع الذى تتجه إليه . إذ يرى يونج أن مظاهر النشاط البشرى أكثر اتساعاً وأعظم اختلاطاً من أن تنسب جميعها إلى الغريزة الجنسية وحدها ، بل إن الطاقة البشرية تمتزج فيها العوامل الجنسية وغير الجنسية ، وتشمل الطاقة الروحية برمتها ، وهذه الطاقة الروحية يعنى بها - كما قال - مدى كثافة تسلسل العمليات الروحية ، والقيم النفسية ، تلك القيم المرهونة - بكل بساطة - بالقوة التى تجددنها .

ويتحدث يونج عن هذا التزايد المفاجئ للمعرفة عن اللاشعور بوصفه « غرور أو غطرسة الإيجو » . inflation the ego ولا يخفى أن كثيراً من الرجال يتسمون بالغرور والأنانية بدون تلك التجربة مع اللاشعور الذى يمددهم بهذا الإيجو المبالغ فيه بالحاسة الفنية .

ويشير يونج إلى الحالات ذاتها بين الشعوب البدائية ، التي تميز بين نوعين من الأحلام ، هما : أحلام عادية ، وأحلام « عظيمة » ، فعندما يرى الهمجي حلماً « عظيماً » فإنه لا يملك الاحتفاظ به لنفسه خاصة ، أو كتمانها عن أحد ، بل لابد من أن يرويها بتفاصيله لكل أفراد القبيلة ، ليصبح رجلاً « عظيماً » . والحلم « العظيم » هو تجربة للا شعور الجمعي .. تجربة فريدة في نوعها ، تجعل الرجل مختلفاً تماماً عن رفاقه ، متميزاً عن غيره من الناس .

والكلمة البدائية لهذه الحاسة المزودة بالقوة المحركة الناشئة عن الاتصال باللا شعور الجمعي هي : « المانا » MANA أى قوى الطبيعة المجسدة - وهي فكرة أساسية في بعض الديانات يقصد بها القوى الخارقة غير المشخصة التي يعتقد انتشارها في العالم ، وتتغلغل في كل شيء . ويستعمل هذا المصطلح السنسكريتي عموماً بمعنى : الإيجو المجسد من جديد Reincarnated - ويعتقد البدائي أن بعض الناس وبعض الأشياء لديهم هذه القوة ، في حين أن آخرين ليست لديهم هذه « المانا » . ويعتقد البدائي أيضاً أنه إذا قتل شخصاً ذا قوة مجسدة ، فهو بذلك يمتص « المانا » الخاصة به لتتغلغل في شخصيته .

ويقول يونج : لو أن رجلاً ما وضع « أنيمته » (التي هي مثال أصلي للا شعور الجمعي) في الشعور ، لكان ذلك مساوياً لقتل شيء « مانى » ، أو على الأقل ، يكون إثراً إسقاط « أنيمته » على امرأة حقيقية ، ملغياً ، لذلك فإن رجلاً كهذا ينبغي أن يمتص القوة الطبيعية المجسدة من « الأنيمة » عن طريق جذبها إلى الشعور ، ولكنه إذا فعل ذلك حقيقة ، فإنه يعرض نفسه لخط ذلك « الغرور النفسى » الذي

أشرنا إليه .

وهكذا نرى يونج يشطح بالمرء إلى وعاء جامع ، يدعى أن قد توارثه البشر على أختلاف أصولهم ، من معين تتداعى فيه الفوارق بين الثقافات والبيئات ، وذلك فى أسلوب من تفكير عويص ، غامض التعبيرات ، مبهم التأويلات .

وينتهى يونج بعد ذلك كله بإسداء النصيحة لتفادى كل المتاعب والمشاكل الزوجية بأن الوسيلة الوحيدة هى اللجوء إلى التحليل ، فهو الملتجأ الوحيد فى الحالات الشديدة التى تحتاج إليه بالفعل ، على أن يكون التحليل تحت إرشاد شخص متمرس ، وعلى قدر كبير من الدربة والدراية والأمانة ، لأن خطراً جسيماً قد يحيق بالشخص من استفزاز اللاشعور الجمعى وتهيجه عن جهل أو بطريقة خاطئة ، ولقد واجه عديد من الأطباء هذا الخطر ووقفوا إزاءه حائرين ، حتى أن عدداً غير قليل من الأشخاص الذين أجريت لهم عمليات سيكولوجية شعورية ولا شعورية عن طريق أصدقاء حسنى النية ، أو أطباء قليلى الخبرة ، قد انزلقوا لا إلى الفسوق والعمل اللاأخلاقي فحسب ، ولكنهم وقعوا فريسة المرض والجنون والانتحار .

ويعتبر كتاب يونج « مقالاتان » صياغة أخرى جديدة وكاملة لكتابه السابق « علم النفس التحليلى » ، وقام بترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الإنجليزية الدكتور باينيس وقرينته ، ولقد حافظا فى الترجمة على براعة السبك وجمال الأسلوب ، حتى جاء الكتاب على نحو لا يرقى

إلى ما يحتويه من شروح تفسيرية أى شك . وإنه لجدير بالثقة فى تحليل تلك المسائل المعقدة الصعبة ، والدراسات العلمية بالغة العمق فى علم النفس وفن العلاج العقلى .

أما كتابه « إسهامات فى علم النفس التحليلى » فهو مجموعة من المقالات والمحاضرات تشتمل على آراء سيكولوجية تحليلية تلقى الضوء على عدة جوانب من موضوعات عامة مختلفة ، كالطاقة الخارقة للطبيعة (الخارجة عن نطاق نواميس الفيزياء المعروفة) ، والروح ، والاعتقاد بالأرواح ، والمرأة فى أوربا ، والزواج كعلاقة سيكولوجية ، والتربية ، وفن الشعر .

ولأن اللاشعور الشخصى واللاشعور الجمعى يعمل كلاهما فى البنية العقلية لكل رجل وامرأة وطفل ، كتيار فى محيط الحياة ، نطفو جميعاً فوقه تارة ، أو نحاول السباحة فيه تارة أخرى ، فليس ثمة أى نشاط بشرى ، سواء كان عقلياً أو جسدياً ، إلا وقد ولد عن طريقه ، وليس من فعل إنسانى إلا وكان عامل اللاشعور موجود فيه .. إنه مفتاح الطريق إلى الإنجازات العظيمة .. وهو السيد الأمر المسيطر .. وهو الذى يصوغ حياة الإنسان - بحسب تعبير يونج - وهو المصدر الأساسى الذى منه يستمد الشعور طاقته اللازمة لمواصلة المسيرة فى الحياة .

ويؤكد يونج أن حيازة فكرة صحيحة عن العالم تتطلب من الإنسان أن يكون صورة عن العالم وعن نفسه أيضاً ، لأن الذى يعرف ماهية العالم حرى به أن يعرف ماهية ذاته .. ومن المبالغة أن تنشذ هذه المعرفة حرفياً ، لأنه ليس بمقدور أحد أن يعرف ماهية العالم ، وبالتالي ليس فى استطاعة أحد أن يدرك ماهية نفسه ، ولكن المطلوب هو

الحصول على أصح قدر ممكن من المعرفة .

والحياة الإنسانية تختلف عن حياة الحيوان بما تتميز به من شعور أعظم وأرقى ، ووعى أسمى ، والفرد من البشر يختلف عن غيره بمقدار ماله من شعور ووعى وإدراك ؛ فلقد ولدنا جميعاً بدون وعى ، وشيئاً فشيئاً حصلنا على مالدينا من وعى .. بعضنا أكثر من الآخر ، والبعض أقل . وللتربية أعظم الأثر فى جعلنا أكثر وعياً .

ويقرر يونج أن ثمة لكل مجتمع وعى عام مشترك يصل بين جميع أفرادها بطريقة غير واعية منهم ، كما يجمع بين آبار الحياة الموزعة فى رقعة واحدة قاع عام مشترك يمدّها كلها - بطريقة مسترة - بنوع واحد من الحياة . وكل ذلك من شأنه أن ينمى مسئولية الفرد إزاء الجماعة ، ومسئولية الجماعة إزاء الفرد ، ومسئولية الماضى إزاء الحاضر ، والحاضر إزاء المستقبل ، ويقوم تضامناً وثيقاً فى المسئولية بين كل ذلك .

والقيمة المميزة لعمل يونج هى أنه باحث ومفكر أصيل ، ومحقق بارع ، وعالم مبدع ومبتكر ، يقف وجهاً لوجه مع الحقيقة فى كل أعماله التى قادت لمقارنة الحالات المرضية - بما لديه من خبرة وتجربة كمتخصص فى علم الأعصاب - بعلم النفس البدائى فى سلالات مختلفة فى كل من أمريكا الشمالية وأفريقيا ، ومع أنه واحد من أوسع العلماء معرفة فى أوربا لانجد فى كتاباته أية إشارة ولو كانت عابرة عن المكتبة أو المختبر أو غرفة الاستشارة أو المستشفى .

كل هذا يضاف على ما يكتبه يونج خاصية تبعث فى نفس القارئ نشوة أشبه ما تكون بالنسمات الرخية تشرح الصدر ، وتثلج

الفؤاد ، وسواء اتفقت معه فى آرائه أو لم تتفق فلا محل للخلاف على أنك قد تأثرت به ، وأن آراءه الأمانة تركت فى نفسك انطباعاً قوياً ، إذ أنك ترى فيها آراء رجل حقيقى صاغ آراءه الخاصة ورتبها بطريقة يودّ لو أن كل فرد آخر يستطيع أن يكون آراءه ويصوغها بالطريقة المثلى التى انتهجها .

وجدير بالذكر أن كتابيه : « سيكولوجية اللاشعور » Psycho-
" Psychological " و « الأنماط السيكولوجية » gy of the Uneonacious
" types بالإضافة إلى مجلديه السابقين ، من الأعمال التى ينبغى أن تكون موضع دراسة وبحث لكل فرد تهفو نفسه إلى معرفة أى شىء عن علم النفس الحديث ، كما يجب أن يقرأها قراءة واعية وموضوعية كل فرد سبقت له قراءة أية كتب فى التحليل النفسى ، أو فكر يوماً فى أن يعرف شيئاً ، أى شىء عن التحليل النفسى .

ولو أن مؤلفات يونج قرئت بوعى ، ودرست بفهم ، فإن قدراً كبيراً من الكلام السخيف والكتابة الساذجة البلهاء عن علم النفس يمكن أن يوفره على أنفسهم أصحابه ، فكثير مما كتب ونشر وقيل تحت اسم التحليل النفسى كان له أسوأ الأثر على كثير من الناس .

وإذا استطاع القارئ أن يخلو إلى نفسه فى غرفة مطالعته ويتناقش مع كارل جوستاف يونج ، فيما تحتويه مؤلفاته سيجد أنه قد التقى برجل على درجة عالية من المقدرة العقلية نادرة المثال ، وأنت حين تنتهى من لقائك معه فى هذه المؤلفات ستجد نفسك وقد روضتها على أن يكون العالم بالنسبة لك هو المكان الصالح للعمل الذى ينبغى أن تؤديه بإخلاص وهمة وأمانة ، وستشعر بأفك أكثر قدرة على العمل ، وأصفى

ذهناً على التفكير ، وسيكون لديك انطباع قوى بأن ثمة ضرب من
التناسق والتوافق فى الأشياء فى كل مكان . وإنك لو عشت حياتك
بأمانة وصدق وإخلاص وحب ، ستجد المقابل : مزيداً من الأمانة ،
مزيداً من الصدق ، مزيداً من الإخلاص ، مزيداً من الحب ..

مكتبة
المهتدين

فهرس الكتاب



القسم الأول :

- ٧ سيجموند فرويد
(مدرسة التحليل النفسى)
٢٤ ألفريد أدلر

(مدرسة علم النفس الفردى)

- ٤٦ - كارل يونج
(مدرسة علم النفس التحليلى)

القسم الثانى :

- ٥٧ - العقل الشعورى
٦٧ - العقل اللاشعورى
٧٩ - اللاشعور عند فرويد ويونج
٩٠ - قوة الحياة
١٠٢ - العقل السلالى عند يونج